رواية

إيهاب زيدون

كوديو .. إحذر المخدرات !

إيهاب زيدون

الطبعة الأولى

2025

كوديو ... إحذر المخدرات !!

ISBN : 978-9938-79-597-4

لا يجوز بأي صورة نشر أو إعادة طبع أي جزء من هذا الكتاب أو إختزان مادته بطريقة الإسترجاع أو نقله على أي نحو كان , أو بأي طريقة سواء كانت إلكترونية أو بالتصوير أو خلاف ذلك , إلا بموافقة خطية من المؤلف ©

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، أما بعد

إلى جميع القراء الأعزاء، أنتم النور الذي يُبقي شغف الحكاية مشتعلاً في القلوب، إليكم أُهدي هذا العمل الذي خرج إلى النور ليحمل بين دفتيه أحلاماً ورؤى خطتها أناملي بحبّ .

وإلى كل من ساهم في نشر هذه الرواية وإصدارها للعلن ، وكل من كان سبباً في وصولها إلى أيدي القرّاء، أقول لكم : شكرًا من أعماق القلب. أنتم الجنود المجهولون الذين جعلوا من هذا الحلم حقيقة، وحققتم ما كنت أظنه بعيد المنال.

إن تحقيق هذا الإنجاز لم يكن ليتم لولا فضل الله أولاً، ثم دعمكم وتشجيعكم. فلكم مني كل الامتنان، وأرجو أن يجد القارئ بين هذه الصفحات ما يلامس قلبه ويثري فكره .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

" كوديو ! .... إحذر المخدّرات !! "

ضميري – 11/ 01 /2010

" *Codeo ! .... Beware of drugs !!* "

My conscience ~ 11/01/2010

أنت الآن أمام مرآتك كوديو وشريط حياتك يمرّ أمام عينيك بسرعة مذهلة وحسب الروايات الشعبية التّي كنت تسمعها ومعرفتك البسيطة للأشياء تستطيع أن تجزم بأنّك الآن تواجه الموت ... فقط في هذه اللحظات القليلة تدرك أنّك ستصبح مثل حبّات الكوكايين التي تطير حتّى تدخل أنفك في جزء من الثّانية أنت أيضا ستدخل إلى أنف النّسيان بسرعة فائقة حتّى أنّه بعد دفنك بثلاث أيّام ستنتهي فترة العزاء وينتهي معها ذكر اسمك في نطاق أوسع من لسان حبيبتك التي تشكّ أنت نفسك في نسبة حبّها لك .. ياله من مأزق حياتك التّي أردت جعلها أسطورة لا يكاد المستمعون تصديقها ستصبح هباء يجب أن تجد حلّا لكنك تلعنني أنا .. أنا من أراد مصلحتك دائما .. أنا من يريد جعلك فخورا بنفسك .. أنا ضميرك الذي سيندثر مع موتك الذّي سيصير محتوما بعد لحظات .. أنا لست أعاني من الهلوسة كما تقول .. أنت الذي تتعاطى حبوب الهلوسة التّي لطالما حاولت منعك من أخذها .. أحسنت أنا أرى أنّك ستموت بسبب جرعة زائدة من الكوكايين ... حسنا ها أنا أصمت فأنت الآن تستسلم للموت .

الباب الأول :

أين أنا ؟ المكان هنا يتميز بالحمرة ! أنا لم أقرأ في أيّ كتاب ديني أو دنيويّ شيئا يقول أنّ الحياة بعد الموت تتميّز بالحمرة ... هنا الأشجار حمراء والسماء خضراء أشعر أنّني أعاني من عمى الألوان لكن هناك شيء واحد لا يوجد هنا .. شيء لازمني طوال حياتي منذ صغري .. شيء أرغمني أحيانا على اتّخاذ قرارات في حياتي لست مقتنعا بها تماما .. إنّه ضميري لقد فارقني ضميري .. لعلّها إحدى الأماني التّي تمنّيتها تحققت الآن .. لكن من أنا .. أنا الوحيد في هذا العالم الأحمر الذي احتفظ بتركيبته الجسمانية فأنا مازلت أتمتّع بلوني القمحي ولحيتي السوداء وقبّعتي المارسيلية أمّا الناس هنا ليسوا آدميين أنا لم أحسّ أنهم آدميون .. فلنقل مخلوقات .. إنهم يتمتعون بلون بشرة ليست مثل تلك التي عهدناها نحن في عالمنا لم نعهد أناسا ببشرة زرقاء أو خضراء أو بشرة مرقّطة ... أنا أشعر بالخوف وسبحان من لا يخاف .. فالخوف فطرة فينا و أنا من أهديت للخوف

جزءا كبيرا من حياتي منذ كنت صغيرا كنت أخاف من الظلام أخاف من حزام سروال أبي وكلّما تغيرت مبادئي تغيّرت مخاوفي فقد كنت أخاف من أن تقبض عليّ الشرطة أثناء ممارستي لبيع الممنوعات .. لا أنا لست بائع مخدّرات الآن أنا طبيب في إحدى الدول الأوروبية لا تعجب يا أخي .. أنا أناديك أخي لأنّك أخي في الإنسانية أيّها القارئ .. أنا مجموعة من الشخصيات في شخص واحد .. حسنا اجلس الآن واستمع إليّ مليّا لا بد أنّك لاحظت أنّني أتحدّث كثيرا وأصنع ألف موضوع من كلمة إنّني أعاني من تشتّت الأفكار لكنني سأحاول أن أسرد لك أحداث قصّتي بالترتيب إن شاء الله .

لقد ولدت في عائلة متوسطة الدخل وكانت حياتنا تمتاز بالرتابة مثل أيّ عائلة في العالم بعد الثورة الصناعيّة كان أبي رجلا ملتزما دينيا وأمي أيضا امرأة محترمة وملتزمة دينيّا وكنت أنا وحيدهما فأمي بعد إنجابها إيّاي عانت من سرطان في الرّحم ممّا جعل الأطّباء يستأصلونه .. لقد كنت طفلا أقل ما يقال عليّ ”نابغة“ أنا لست

أعاني من جنون العظمة لا لكنّني أقول الحقيقة ولست أنا فقط من يقول هذا بل سيجزم هذا أيّ دكتور درّسني في كلية الطّب .. أنظر كيف جعلتني أحيد بك عن سياق الحديث ... فقط أتركني أكمل سردي وكن واثقا أنني لن أخبرك سوى الحقيقة ... كنت طفلا متميّزا جدا في دراستي منذ المدرسة .. أنا لم أكن روبوتا لا يعرف سوى الدّراسة لا لقد كنت أمضي معظم وقتي في الحيّ أتشاجر مع أترابي تارة وألعب معهم تارة أخرى كنّا أطفالا بقلوب سليمة لا تشوب أرواحنا شائبة .. لم تكن أمّي تهتم بالوقت الذّي أمضيه في الحيّ وكذلك أبي فأنا كنت دائما ما أسكتهم بملاحظاتي الدّراسية وبأعدادي المدرسية في دفتر الأعداد ولهذا أخبرتك أنّني نابغة .. أمّي وأبي لم يهتمّوا بدراستي أكثر ممّا اهتمّوا بتربيتي دينيّا فأنا وبدون فخر إنسان صاحب ثقافة ومعرفة دينية .. أنت طبعا ترى التناقض العميق في شخصيتي لقد أخبرتك مسبقا أنا مجموعة شخصيات .. حسنا لقد اشتدّ عودي في الحيّ وترعرعت فيه واستنتجت أن أغلبية أصدقائي ليسوا نوابغ مثلي ففي سن الرابعة عشرة من عمري وجدت أنّني المراهق الوحيد في الحيّ الذي

لازال يواصل دراسته في المدرسة الإعدادية .. أنت تعلم في سنّ المراهقة يتملّك الإنسان حبّ الاكتشاف وإن كنت تعيش في حيّ شعبيّ في دولة نامية وفي سنّ المراهقة لابدّ أنك ستكتشف أوّل شيء خطر على بالك الآن .. طبعا فلتقلها .. المخدّرات لقد كان حيّنا يدعى "حيّ الصيدلية" ليس لكثرة الصيدليات فيه بل لكثرة الأقراص المخدّرة .. عذرا أنا لم أخبرك عن اسمي .. لقد نسيت اسمي الّذي ولدت به فأنا لم أكن أدعى في حيّنا سوى "كوديو" فقد كنت أروّج مخدر الكوديين ... لقد كنت شابّا متميّزا في الدراسة وفي بيع المخدّرات لهذا عندما تحصلت على بكالوريا علوم بمعدّل ممتاز قرّرت أن أتوجه إلى كلية التجارة .. أنا مهووس بالبيع والشراء وأريد أن أكون تاجرا عالميا صاحب شركة ضخمة وكذلك كنت أريد أن أكون صاحب مخازن أسلحة مثل أيّ رجل أعمال ضخم شاهدته في فيلم هوليودي .. أبي وأمي كأي أبوين بسيطين كان حلمهما أن يكون ابنهما الوحيد والعبقريّ طبيبا وهنا تدخّل ذاك الوسواس وسبب عذابي في هذه الحياة .. ضميري الذي أجبرني سابقا على الاستقالة من ترويج المخدّرات

تدخّل أيضا هذه المرّة حتّى يجعلني طالبا في كلية الطّب فقط لأجل تحقيق حلم والديّ .. أنظر هناك !! أنت ترى ذاك الجيش من المخلوقات زرقاوي البشرة !! .. فلتصمت وأنا أيضا سأصمت وأمنيتي الوحيدة هي أن لا يلاحظوا تواجدي هنا !

- من أنتم لماذا تحملونني مقيّدا هكذا ؟؟ أخبروني من أنتم ؟ أجيبوني !!
- نحن جيش الخلايا البيضاء المتعادلة ونريد معرفتك أنت من تكون فمن شكلك ولونك تبدو غريبا عن هذا المكان
- وما هذا الاسم الغريب الذّي تسمّون به أنفسكم ؟
- منذ أن وجدنا في هذا العالم لم نعرف لنا اسما سوى هذا الاسم
- لا أنا فقط استغربت هذا الاسم لأنّني طبيب وأعرف أنّ الخلايا البيضاء المتعادلة نوع من خلايا الدّم البيضاء

- طبيب !!

- نعم أنا طبيب ... ما بك ارتبكت يا هذا ! ألم ترى طبيبا في حياتك سابقا ؟ لماذا تهمس لهذا الجندي في أذنه ؟ أنا لست مجنونا حتّى تأخذوني إلى السّجن الانفرادي ! لا لا لا !!

أنا في السجن الانفرادي لا أعرف أحدا في هذا العالم الغريب .. أنت لم ترى وجه الجنديّ عندما أخبرته أنّني طبيب وكأنّ صاعقة من السّماء قد أصابته ... لا بدّ أنّه استغرب كوني طبيبا فأنا منذ صغري لم أتصور نفسي طبيبا أبدا .. حتّى أنت لا أظنّ أنّك تعرف طبيبا مدمنا على مخدّر الكوكايين .. أظنّ أنّني الطبيب الوحيد في العالم .. أنا وصمة عار على الأطبّاء

الباب الثاني

السجن هنا خال من الفئران والأوساخ لقد تحصّلت على عفو من السّجن الانفرادي وأخذني الحرّاس إلى الغرفة السوداء هكذا كان يدعوها الحارس .. جميع المساجين هنا يتمتّعون باللّون الأخضر .. العنصرية يبدو أنّها ظاهرة مستفحلة في جميع العوالم حتّى هذا العالم أنا أسمّيه "العالم الأحمر" .. لقد تعرّفت على أحد المساجين لقد كان جيّدا معي .. ماذا كان يدعى؟ كانوا يلقّبونه "البارد" لا بدّ أنّ هذا اللّقب يعود إلى حبّه الشديد للجوّ البارد .. لقد كان أضعف المساجين لكنّه أخبرني أنّ أجداده في الماضي البعيد كانوا إذا استوطنوا العالم الأحمر يفزعون جميع متساكنيه لن أنسى أبدا ذاك الحوار الذّي دار بيننا لقد قال .. نعم هو من فاتحني بالحديث

- يا هذا .. يبدو أنّك غريب عن هذا المكان بلونك البنّي هذا
- نعم أنا لا أعرف هذا المكان
- من أيّ قبيلة أنت ؟

-أنا من أيّ قبيلة .. أبي لم يخبرني أبدا عن قبيلتنا .. لقد كانت علاقتي بأبي باردة جدّا حتى بعد تخرّجي من كلية الطّب ..

-طبّ طبّ ماذا ؟

-نعم أنا طبيب أعلم أنّه من الغريب أن يكون الطبيب سجينا

-طبيب ماذا يا هذا ؟ يبدو أنّك في السجن بسبب جنونك .. يبدو أنّك تصدّق تلك الأساطير القديمة التّي تتحدث عن كائنات عملاقة تدعى الأطبّاء تحمي العالم من الشّر

-أخبرني أرجوك أين أنا ؟ .. في أيّ سنة نحن ؟

-نحن لا نعدّ السنوات هنا

-أنظر أنا أدعى "كوديو" لقد كنت نائما وقد استيقظت ووجدت نفسي هنا لقد أتيت من عالم آخر ليس هذا العالم الذّي كنت أعيش فيه

-ههه أنت حقّا مجنون .. حسنا أنا أدعى "البارد" هكذا يلقبونني وأظنّ أنني من سيعيد لك وعيك وسأخبرك عن حياتنا .. أنا مثلا أنحدر من قبيلة "الكورونا " نحن أكثر من 200 سلالة

- كورونا ؟؟
- نعم هل عاد وعيك الآن ؟
- يا "بارد" أرجوك أتركني في عزلتي فأنا أحتاج للتفكير الآن

ماهذه الأسامي؟ .. هذه أسامي خلايا وفيروسات في جسم الإنسان .. هل تطور العالم إلى هذا الحدّ حتّى أصبح المساجين يدعون بأسماء فيروسات .. أنا أرى أن هذا انتهاك لإنسانية المسجون .. لكن ماذا أقول ؟ هؤلاء ليسوا بشرا إنهم أقرب إلى الهلاميآت .. لقد كنت ذكيّا دائما يا كوديو .. أنا أعلم أين أنا .. ماذا؟ .. هذا حقّا ما حدث .. أنا في ذاك العالم المعقّد .. العالم الذي أدهش ولا يزال يدهش وسيدهش البشرية .. أنا في جسم الإنسان .

-"بارد" أظنّ أنّك حقّا قد أعدت لي وعيي .. أنا فعلا كنت متأثّرا بأساطير الأطبّاء .. لكن أظنّ أنّ فهمي لقصصهم بطريقة خاطئة هو ما جعلني على تلك الحالة أخبرني أنت عمّا تعرفه عنهم

أمسك "البارد" سيجارته ووضعها بين شفتيه اللّزجتين إنه يمتلك العديد من الأعين كان ينظر بهم جميعا إلى يديّ وكأنه يريد شيئا

-حسنا أعطني أوّلا ولّاعة ثم سأحدّثك عمّا أعرف

أعطيته الولّاعة التّي بدا ظلّ نارها في بؤبؤ أعينه العشرة .. لقد أحصيتهم بينما كان يحدّثني

-يقول جدّي أن أحد أسلافه قد قتل بسحر هؤلاء العمالقة .. يقال أنّهم ضخام الجثّة وأنّهم يحمون هذا العالم من أمثالنا .. أترى كانت أمّي سابقا تخيفني بقصّ حكايات الأطبّاء حتّى أتوخّى الحذر في هذا العالم .. يا كوديو سأسألك سؤالا وأريدك أن تجيبني بصدق

- نعم تفضّل
- قال جدّي أن الأطبّاء يدعون جميع هؤلاء المساجين الذّين تراهم وقبائلهم وعشائرهم "الفيروسات" وأخبرني أيضا أن هذه الكلمة تعدّ شتيمة لأنّنا نستوطن هذا العالم ونفتك به لكن هذه طريقة حياتنا ففي هذا العالم يتغذّى القويّ على الضعيف .. نحن نعيش بالتغذّي على الخلايا الحمراء التّي تراها في هذا المكان .. أليس من حقّنا أن نعيش كما تعيش الخلايا الحمراء هنا ؟ ألا ترى أنّ هذا يعدّ ظلما ؟
- يا "بارد" من حقّك أن تعيش لكن ليس على حياة غيرك
- ولكن من حقّ بقية الخلايا التّغذي علينا ودهسنا

قال "البارد" جملته تلك وهو يدهس سيجارته تحت قدميه لقد كانت أعينه تلمع لمعانا يفسّر المعاناة التّي كان يعانيها منذ زمن بعيد هو وأسلافه .. كان"البارد" حقّا يتألّم أثناء حديثه ألام ذاك الإنسان الذّي لطالما أحسّ بالعنصرية

ففي كلّ جملة كان يذكر خلايا الجسم بـ '' الخلايا الحمراء'' وكأنّ لونه الأخضر وعرقه الفيروسيّ أجبراه على تحمّل العنصرية لسنين عديدة .. بارد كان هذا هو لقبه وبصفتي طبيبا أستطيع تشخيص هذا الفيروس .. لقد كان البارد هو فيروس البرد أو الزّكام لعلّ هذا يفسِّر ضعفه وقلّة حيلته ففي عصرنا لم يعد الزّكام ذاك المرض الخطير الذّي يرعب البشرية لهذا يحسّ أنّه وسلالته أكثر الفيروسات المعرّضة للخطر من قبل الجسم ومن قبل أسطورة الأطبّاء وهو من سلالة ''كورونا'' وهي سلالة تصيب الجهاز التّنفسي للإنسان لهذا كان مدمنا على السجائر .. أظنّ أنّ جميع الملاحظات التّي سجّلتها عنه تجزم لي أنّه فيروس الزكام

تمرّ الأيّام وتتعدّد ملاحظاتي على هذا العالم وفترة سجني تكاد تنقضي .. أنا لم أخبركم لقد حكمت من قبل محكمة المناعة بعدم سماع العدوى نعم هذا ليس خطأ مطبعيا البراءة هنا تدعى عدم سماع ''العدوى '' وليس ''الدعوة'' .. يالني من غبي المناعة والعدوى

والبرودة واللّون الأحمر كلّ هذا يدلّ أنّني في جسم الإنسان .. لقد كان حسّي الطبي أقوى ممّا صار عليه الآن

- بارد أخبرني .. عندما أمسكني جنود الجيش المناعي وأدخلوني السّجن سمعت عدّة أساطير مثل أسطورة الأطبّاء لكن سمعت أسطورة أخرى كلّما ذكرت في سياق الكلام يرتعش المساجين والجنود إنّها أسطورة " ذي الأقنعة" ترى من يكون هذا ؟
- أنت الآن يا كوديو ستفتح قصّة طويلة وبصراحة يروق لي أن أرويها لك على طريقتي .. لقد عشت كثيرا وتنقّلت كثيرا بين العوالم وسمعت من شيوخ القبائل والفرسان الخضر قصصا كثيرة عن ذي الأقنعة وكلّما ذكره راوي منهم قال قبل أن ينطق اسمه لقبه "الجبّار " فهو حقّا جبّار .. لقد قابله شيخ قبيلتنا وقبّل الأرض بين قدميه وذكرنا في حضرته طالبا منه أن يحمينا من جيش المناعة
- ألا يقدر على إيذاءه جيش المناعة ؟

ضحك البارد ضحكة فيروسية .. أقصد شيطانية ..

وقال

- ولا الأطبّاء أنفسهم ولا سحرهم العظيم استطاع إيذاء سيّدي الجبّار ذي الأقنعة فهو يملك تعويذات تصدّ جميع الأسحار التّي تصيبه فقط تربكه مدّة من الزمن ولكنّه أخيرا يقضي على جميع فرسان المناعة عن بكرة أبيهم بقوّة حجّته وبيانه وسحر كلامه وقوّته وشجاعته الخارقة
- أرجوك أخبرني كيف يكون ذو الأقنعة ؟ أخبرني عن شكله وعن تصرّفاته
- لقد قال شيخ القبيلة أنّه ضخم الجُّثة .. أزرق اللّون .. حسن الكلام وذو حكمة كبيرة .. هذا فقط ما أخبرنا به عنه
- أنا متشوّق جدّا لمقابلته يا بارد .. غدا سيطلق السّجانون سراحي سوف أعمل جاهدا لمقابلته
- لكن أنت لن تستطيع أبدا مقابلته ولن يستطيع أحد في هذا العالم أن يدلّك عليه .. ألا تعلم أنّه إذا تمّ ذكر ذي الأقنعة على لسان أحد الخلايا في هذا العالم سيتمّ فورا القضاء عليه .. ألم أخبرك أنّ

جميع المخلوقات تخشى حتّى الحديث عنه

-إذا كيف سأستطيع مقابلته ؟

-يا كوديو من أخبرك أنّ ذا الأقنعة يوجد في هذا العالم الذّي تتواجد فيه أنت الآن ؟ إنّه مثل جميع الصعاليك قد يتواجد في عالم وقد لا يتواجد في عالم آخر

لقد كنت أحلّل كلام فيروس الزّكام وبدأت في حلّ شيفرات الكلام في هذا العالم .. فهم يقصدون الجسد بقولهم العالم وأجساد النّاس هي عوالمهم ويقصدون خلايا الجسم بالخلايا الحمراء ويقصدون الفيروسات بقولهم الكائنات الخضر أو الصعاليك أو المساجين .. قاطع البارد تفكيري بصوته المزعج

-لكن أنا أبشّرك .. لقد وصلتني المعلومات من مصادري الخاصّة أنّه يوجد في هذا العالم ذو الأقنعة الجبّار .. أنا أصلا انتقلت إلى هذا العالم لمقابلته .. لكن يا كوديو فلتبقي هذا سرّا بيننا لا تحدّث به أحدا من المساجين .. ولحسن حظّك

تعرّفت عليّ فأنا الوحيد الذّي سيعينك على لقاء سيّدي ذي الأقنعة فقط لو أعنتني على الهروب من السّجن

- كيف سأعينك يا بارد ؟
- حسنا يبدو أنّك ستصغي إليّ جيدا .. ألا ترى أمام كل زنزانة يوجد جندي من الخلايا البيضاء التائيّة .. أولئك هم الذّين سيعينوننا على مقابلة ذي الأقنعة
- وكيف هذا ؟
- حسنا هناك أمام الزنزانة الانفرادية ألا ترى هناك في الزاوية ؟
- نعم أراه .. ذاك السّجان الذّي كان يحرس الزنزانة الانفراديّة التّي كنت محبوسا فيها
- أحسنت ذاك أحد جنود الخلايا البيضاء التائيّة يدعى ”المعتوه“ .. لقد أمضيت مدّة لا بأس بها في هذا السّجن وأعلم أنه معتوه حقّا ولكنّ المعتوه هذا سيكون أوّل خطوة لنا لمقابلة ذي الأقنعة
- كيف ؟
- الآن سوف تطبّق ما آمرك به حرفيا ولا أريد منك

أيّ سؤال .. الخطوة الأولى هي يجب أن أسجن في السّجن الانفرادي هذا والذّي سوف يحدث بعد أن أعدّ إلى ثلاثة .. واحد .. اثنان .. ثلاثة .. سامحني يا كوديو

أين أنا ؟ أنا في مكاني لكن أين البارد ؟ يبدو أنه فعلها واستطاع الدخول للسّجن الانفرادي

- كوديو !

إنّه السّجان الذّي يحرس الزنزانة ما به ؟

- نعم ماذا تريد ؟
- لقد أمر مدير السّجن بالتّمديد في مدّة سجنك إلى يومين آخرين لتبادلك العنف مع المسجون البارد

ماذا !! ما هذا لقد كنت أنتظر الخروج من السّجن وأعدّ الثواني التّي أمضيها فيه منذ دخولي إيّاه والآن يقوم هذا البارد بتمديد فترة حبسي هنا .. سوف أبرحه ضربا ريثما أراه في ساحة السجن .

الآن إنّه منتصف النّهار حسب توقيت "الساعة البيولوجية" لجسم الإنسان .. بصفتي طبيبا أعلم أنّ جسم الإنسان يدرك اللّيل والنّهار حسب ساعته البيولوجية وهي تستعمل هرمون الإنسولين كإشارة أساسية تساعد على إيصال الطّعام إلى السّاعات الخلوية في جسم الإنسان .. وكلّ هذا يسير في نظام مطلق في هذا الجّسم الذّي أتواجد فيه وأكاد أجزم أنّ هذا الجّسد لا يعاني من مرض السّكري .. حسنا لقد كان هذا قوسا صغيرا أردت ذكره حتّى تفهمني ولهذا أيها القارئ يجب أن تحفظ هذه المعلومات عن ظهر قلب حتّى نستطيع التّواصل معا .. في نصف النّهار يسمح للمساجين بالخروج إلى السّاحة وأنا الآن في السّاحة أنتظر خروج فيروس الزّكام "البارد" إليها .. أنظر هاهو هنا سوف أستفسره قبل أن أبرحه ضربا

- بارد .. هل تعلم أيها الفيروس أنّني مازلت سجينا اليوم بسببك وهو يوم الإفراج عنّي ؟
- نعم أعلم وتلك الخطوة الأولى يا كوديو في خطّتنا وبذكائك وخبرتي استطعنا أن ننجح في تطبيقها

-ماذا تقول يا هذا ؟

-حسنا .. كوديو لقد كنت أتعمّد أن أبقيك هنا في السّجن يومين آخرين حتّى أستطيع التّفسير لك .. البارحة ليلا وأنا نائم في السّجن الانفرادي تعمّدت الصّياح في نومي فسمعني السّجان الذّي يحرسني .. المعتوه لا بدّ أنّك تذكره .. ولمّا سألني عن سبب صياحي أخبرته أنّك مخلوق غريب عنّا وأخبرته أنّك طبيب تملك تعويذات خطيرة وقوى خارقة تحقّق أو تحطّم بها أماني النّاس .. وأنّني بعد مشاجرتك صرت ترسل لي جنودك من الأطبّاء في شكل كوابيس حتّى لا أستطيع النّوم

-لماذا قلت له هذا الكلام ؟

-كوديو .. أنصت جيّدا .. المعتوه هذا مخلوق قليل التّفكير ويؤمن بخزعبلات الطّب وسحرهم وقدراتهم الخارقة لهذا ستكون أنت بصفتك تدّعي أنّك طبيب من عالم آخر , ستقوم بجعله دمية تتحكّم فيها حسب تعليماتي طبعا إن كنت تريد مقابلة ذي الأقنعة الجبّار

-وكيف هذا ؟

- عندما عددت من واحد إلى ثلاثة وأغمي عليك .. كنت قد لكمتك في مكان يجعلك تسقط طريحا ليتسنّى لي أن أحبس في السّجن الانفراديّ تحت حراسة المعتوه وبهذا أجعله يؤمن بأنك مخلوق خارق .. تلك خطوة وقد أنجحناها .. الخطوة الثّانية هي أن تمرّ عليه اليوم وتنظر إليه وتمعن النّظر إليه جيدا وتقول كلمات غريبة ثمّ تخبره أنّه يعاني من بعض الأسحار الخطيرة التّي ستدمّر حياته وتخبره أنّه لن يحلّ طلاسمها إلّا طبيب مثلك .. ثمّ تمرّ صامتا لا تحدّثه أبدا حتّى وإن استفسرك عن معنى كلامك وبعد خروجك من السّجن أنا أجزم أنّه سوف يبحث عنك في جميع أنحاء العالم الأحمر وطبعا سيجدك .. فإذا وجدك يا كوديو اجعله يتردّد عليك يومين أو ثلاثا حتّى إذا اكتسبت ثقته أخبره أنّ حل شفاءه من سحره هو بيدي أنا ، نعم أنا البارد وعندها سوف تترك باقي الخطّة على عاتقي .. فإذا خرجت من السّجن ذهبنا سويّا لمقابلة ذي الأقنعة

وقفت مزبهلّا أمام دهاء فيروس الزّكام لا أستطيع نطق كلمة أمام خطّته المتقنة وجعله لضحاياه كالدّمى بين يديه لقد تلاشى كل غضبي سالف الذّكر أصبحت حقّا منبهرا به .

انتهت مدّة الجولان في السّاحة وحان وقت عودة المساجين إلى زنزاناتهم .. لقد لاحظت أنّ المعتوه يراقبني عن بعد وصارت مراقبته أوضح فأوضح وأنا أمرّ به

-أنت أيّها السّجين

قالها المعتوه وهو يتظاهر بالقوّة

-هل تناديني أنا ؟

-نعم أناديك أنت .. ولماذا قد لا أناديك هل تظنّ أنّني أخاف من شعوذتك وأساطيرك الواهية ؟

لقد صدق البارد .. هذا المعتوه خليّة معتوهة حقّا

-أيّها السّجان لا تتغابى وتذكر الأرواح التّي تخدمني بالشّعوذة والأساطير فهم قد سمعوك وينتظرون أمري حتّى يعذّبوك أشدّ العذاب ..

لا تستغلّ طيبتهم فتجعلهم يسخطون على الأرض التّي تمشي عليها

-أرجوك لا تجعلهم يؤذوني

لقد ابتلع السّجان الطّعم منذ أوّل لقاء بيننا .. لم أكن أظنّ أنّ مهمتي ستكون بهذه السّهولة

-لا أنا لن أجعلهم يؤذونك .. فنحن الأطبّاء نقسم على عدم إيذاء أيّ مخلوق بل نسعى لإنقاذه وتخبرني الأرواح أنّك خلية بسيطة لا حول لك ولا قوّة في هذا العالم وأنّ هناك سحرا قد دسّ لك في إحدى الأماكن لا تجد له حلّا إلّا تحت إمرتي وقدرتي الطّبية

-يا مولاي أنا أترجّاك أن تسعفني فأنا حقّا خادم بسيط وضعيف في هذا العالم

مولاي !! جملتان قد قلتهما جعلتا هذا السّجان ينحدر من منزلة القوّة ومناداتي بالسّجين إلى منزلة الضعف والهزل والمذلّة حتى يناديني مولاي ..

هذا العالم أي الجسد نسخة مصغّرة عن عالمنا نحن البشر لاحظت هذا ولا بدّ أنّكم قد لاحظتموه .. عالم الجسد يعاني من العنصرية يعاني من الظّلم يعاني من الاستبداد ويعاني أيضا من الجهل وقلّة المعرفة والتصديق المطلق .. أنا متأكدّ أنّ المعتوه لم يبحث يوما في حقيقة الأساطير التّي يسمعها فهو يصدّقها دون البحث فيها تصديقا أعمى .. قد أرغمه خوفه منها على تصديقها دون أن يتجرّأ على البحث فيها .. حقّا إنّ حياة الخلايا في الجسد تعبّر عن حياة النّاس في العالم الخارجيّ لهذا أصبحت أرى أنّ أراء ديكارت السّلبية تجاه الجسد صحيحة نسبيا

-لقد التزمت الصّمت يا سيدي .. ماذا تخبرك الأرواح ؟

قاطع هذا المعتوه تفكيري بكلامه هذا

-حسنا أيّها السّجان لقد حدّثتني الأرواح كثيرا عنك وعن السّحر الذّي ألقي لك في مكان ما .. بعد خروجي من السّجن أريد مقابلتك في ''حيّ الطّحال'' حيث سأقيم في أحد الفنادق هناك

-لا وقدرتك وعظمتك لا .. أنا من سيستضيفك في منزله حالما يفرج عنك ومنزلي قريب من هنا ليس ببعيد

-حسنا إذن إن كان هذا طلبك

يبدو أن البارد قد أصاب عندما ذكره بالمعتوه لكنّه لم يذكر لي أنّه خليّة طيّبة القلب .

ثلاثة .. اثنان .. واحد .. لقد عددت الثواني الأخيرة لي هنا .. اليوم يوم الإفراج عنّي وها أنا أرى السّجان قادما تجاهي

-كوديو .. هيّا اجمع أمتعتك فقد أشار مدير السّجن بالإفراج عنك

لقد انتظرتك كثيرا .. انتظرت هذا اليوم كثيرا .. اليوم بالنّسبة لي هو أوّل يوم لي كخليّة من خلايا الجسم

الباب الثالث :

كنت أتجوّل في "الطرقات الوريدية" على زورق جميل تماما كأنّني في "البندقية" لكن أسفلنا لم يكن الماء منسابا بل كانت الدماء مندفعة تحتنا .. كان المعتوه يتفقّد أحوالي كلّ دقيقتين

-أيها السّجان ما هو اسمك ؟

-ألم تخبرك الأرواح عن اسمي ؟

كدت أقول لا بل أخبرني المساجين عن كنيتك أيّها المعتوه

-لا إنّهم ينادونك "الخليّة" كما ينادون جميع خلايا الجسم

-هنا يا مولاي يسمّى الجميع حسب مهنته فنادني السّجان

-حسنا .. يا سجّان هل اقتربنا من منزلك ؟

-بعد نقطة التّفتيش هذه يقع منزلي

نقطة التفتيش طبعا هي الكلية فوظيفتها هي تصفية الدّماء والتّخلص من النفايات والسّموم التّي يحملها حتّى تحولها إلى براز أو بول .

-لا تخف لن يكون التفتيش مخيفا فأنا أحمل بطاقتي وبطاقة الإفراج عنك

قال السّجان وهو يبتسم فخرا لا بدّ أنّه فخور بصحبتي فهو يراني كائنا خارقا .

وصلنا إلى منزله لقد كان يعيش وحيدا وكان منزله عبارة عن غرفتين غرفة فيها فراشه ومقعدان وغرفة أخرى يدعوها الغرفة السّرية ويحكم إغلاقها .. أمضيت في منزله يومين كنت أعامل فيهما كأمير كان المعتوه خلية طيّبة وسخيّة .. لقد أحسست أنّه قد آن الأوان لأفاتحه في موضوع البارد لكنّه قاطع تفكيري قائلا

-يا سيّدي .. لقد كنت أراك في السّجن مع سجين واحد ألا وهو البارد وكان يبدو كصديق لك فلما تشاجرتما ؟

-حسنا سأخبرك .. ما كان بيني وبين البارد ليس بشجار بل كان أحد الطّقوس السّحرية .. لقد عرّفتني الأرواح على البارد قبل مائتي سنة

-مائتي سنة ؟؟

-نعم .. أيّها السّجان أنا لست من هذا العالم ولا بدّ

أنّك لاحظت هذا .. وأنا أبلغ من العمر ألف سنة وعلّمتني الأرواح علوما كثيرة حتّى أصبحت طبيبا لقد مررت بعدّة عوالم أخرى وفككت عدّة عقد وطلاسم لكثير من الخلايا وعجّلت فرجهم بقدرتي ومعونة الأرواح الطّبية وقد أمرتني بالمرور على هذا العالم حتّى أقابل البارد وها قد صار ما صار ومن ضمن مهمّتي أيضا أن أفكّ كربتك أنت أيضا

- هل ذكرتني الأرواح لك ؟
- نعم وأمرتني بالتّعجيل في علاجك
- إذن عجّل يا سيّدي
- ليتني أستطيع أيّها السّجان ولكنّ السّحر الذّي دسّ لك سحر عظيم ولا يستطيع فكّه لك سوى اثنان من أمهر السّحرة كالبارد ولكنّ البارد الآن مسجون لهذا يجب عليك الصّبر حتّى يفرج عنه
- لكن يا سيدي البارد هذا محكوم بالإعدام
- إذن يجب أن تسدي معروفا للأرواح حتّى تستطيع فكّ طلاسم سحرك

يا إلهي يبدو أنّني تسرّعت في قولي هذا ... أقلّ النّاس

فهما قد يشكّ أنّني أتطرّق إلى موضوع الإفراج عن البارد

-أنا أستطيع إسداء معروف واحد فقط للأرواح يا سيّدي

-وما هو ؟

-تهريب البارد من السّجن

ههه حقّا أهذا ما تقوله ؟ يالك من رجل كريم يا معتوه بل أقصد خليّة كريمة

-أهو بهذه السّهولة أيّها السّجان ؟

-طبعا فأنا أستطيع تهريبه الآن وهو في السّجن الانفراديّ

الفساد أيضا ظاهرة مستفحلة في هذا العالم .. لا وجود للمدينة الفاضلة .. كان فلاسفة اليونان قديما أصحاب فكر عميق ونقيّ ظنّوا وجودا لمدينة القيم الفاضلة لكنّ الجّسم بذاته شيء فاسد ربّما هذا ما جعل ديكارت يراه منبع الرّذالة .. لا أشكّ في أنّ ديكارت قد عاش رحلتي

هذه سابقا وقد قابل جدّ البارد وجدّ المعتوه وكلّ أسلاف هذه الخلايا .. قاطع تفكيري كعادته بلكنته البلهاء التّي تجعلني أكرهه أكثر

-ولكن هل تقبل الأرواح هذا المعروف البسيط ؟
-طبعا فهي تقدّر نبالة الفعل لا قيمته

قلت وأنا أنظر إليه نظرة استحقار قد يلاحظها كلّ من كان حاضرا ربّما حتّى الكريّات الحمراء التّي تتواجد في أنهار الدّماء هنا في سيول الطّرق الوريدية

الباب الرّابع :

كنت جالسا أتأمّل باب السّجن في السّاعة الثانية بعد منتصف اللّيل حسب السّاعة البيولوجية للجسم .. يبدو أن جسم الرّجل الذي أتواجد فيه نائم .. أغلبية الخلايا تأخذ قسطا من الرّاحة فقط أنا من كان أمام السّجن ينتظر ضيفين .. لقد فعلها المعتوه وهاهو يأتي بالبارد معه ووجهه يتهلّل فرحا وغباء

حقّاً أنا لا أستطيع تحمّله

-رؤيتك أعادت الرّوح في جسدي يا كوديو

قال البارد مبتسما .. كلماته جعلتني أتخيّل مدى دّقة التّفاصيل التّي أعيشها .. ألم تلاحظوها ؟ لقد قال جسدي ! وهو نفسه فيروس في جسد آدمي .. أشعر أنّ عقلي يتخبّط داخل رأسي

-أنا الذّي تنفّس بعد رؤيتك يا صديقي

كانت ليلة ملكيّة كالعادة في منزل المعتوه لكن شاركني فيها البارد أيضا هذه المرّة

-أنظر إلى المنزلة التّي وصلت إليها بسببي يا بارد

قلت هامسا ومبتسما للبارد

-وسأصل إلى منزلة أرفع بفضلك في المستقبل يا كوديو

ردّ البارد .. وأريدكم أن تحفظوا ردّه هذا وإن كنت لم أعره اهتماما

-لا بدّ أنّك تعرف سبب خروجنا من السّجن يا بارد لن تتركني حتّى نقابل ذا الأقنعة الجّبار

-طبعا وهو هدفي أنا أيضا فأنا أحمل له وصيّة من جدّي شيخ قبيلتنا

-حسنا هل لي أن أعرف ما هي الخطوة الثّانية من خطّتنا

-سترى بعينيك يا كوديو وتفهم فقط نادي السّجان الآن

ناديته وأنا أنتظر تحرّك ألسنة البارد بالكلام فهو يمتلك ثلاثة ألسن

-أمر مولاي

قال السّجان .. ضحكت تلقائيا .. قمّة الذّل والهوان هذا المعتوه جعلني أعود بعقلي إلى العصور الوسطى في قلعة ضخمة في قمّة جبل هالفيلين في إنجلترا يقول فيها مهرّج القصر للملك صاحب البطن الكبير واللّحية الغزيرة "أمر مولاي"

-مولاك البارد يريدك في أمر مهمّ

قلت ساخرا فنظر السّجان نظرة بريئة للبارد

-أيّها السّجان .. أنت تعلم أنّ الهروب من السّجن ليس سهلا لهذه الدّرجة وخاصّة في قضيّة إعدام مثل قضيّتي فلا بدّ أنّ الخلايا التّائية والبائية سينطلقون في البحث عنّي في جميع أنحاء العالم الأحمر وأنا لا أريد لك الخطر ولا الموت بسببي لهذا سننتقل أنا وأخي كوديو إلى العيش في الجبال ونريدك أن تصحبنا خوفا عليك من شكوك الحرّاس وكيدهم

-لكن عملي هذا يا سيّدي مصدر قوتي ورزقي ومن دونه من يطعمني و يكسيني ؟

-حسنا سأوضح لك الأمور الآن ، أوّلا أريدك أن تناديني أخي لا أريد سماع كلمة سيّدي هذه من فمك أبدا .. أنا وكوديو الآن أخواك وبالنّسبة لرزقك ورزقي ورزق جميع الخلايا بيد الأرواح الطيّبة التّي ستنقذك من السّحر المدسوس لك .. فنحن من الآن خدمة الأرواح وهذا اسم مجموعتنا

قلت وأنا أنظر إلى البارد باستغراب وغضب .. فأنا أعلم

أن قصّة الأرواح وما إليها من هذه الشّخصيّات الخيالية نحن من ألّفها وجعل لها وجودا وهو الآن يكلّفها مسؤوليّة طعامنا ولباسنا

-لكنّنا يا أخي البارد سنكون غير آمنين من الحرّاس والخلايا المناعية في الجبال أرى أن نبقى في منزل السّجان وأن يبقى كلّ شيء على حاله

قال البارد وأعينه تلمع بريقا ويداه تتحرّكان كما لو كنت تشاهد لوحة عالم يلقي محاضرة في أثينا لمجموعة أخرى من العلماء .. مشهد باهر يجعلك ترى علما عميقا وأمانا ساكنا في عقل البارد .

-بل سنخدم الأرواح الطيّبة حتّى لو صنّفنا كلّ العالم الأحمر خونة للعقل وإمبراطوريّته

-إمبراطوريّة العقل ؟ قلت مندهشا

-نعم فالعقل هو ملك وحاكم العالم الأحمر

قال السّجان وهو يرى التّساؤلات في عيني .. طبعا فالعقل يصدر الأوامر لجميع خلايا الجسم .. أخبرتكم أنّ حسّي الطبّي قد بدء في التّضاؤل .. انتظرت نوم المعتوه وانطلقت نحو غرفة البارد فرأيته جالسا لم ينم

يضع قدما على الأخرى ويتأمل في أنهار الدّماء ..
قلت له بصوت خافت :
- يا بارد ماذا فعلت بنا الآن لقد كنّا ملوكا في هذا المنزل هل تريد أن تأخذنا لنأكل الحجارة في الجّبال
- يا كوديو ألست تريد لقاء ذي الأقنعة الجّبار ؟
- نعم
- إذن التزم الصّمت أرجوك .

ابتلعت كلام البارد بقدرة قادر وطمئنت نفسي بأنّ خبثه ودهائه لن يهلكانا

الباب الخامس :

هاهي الجبال ... الجبال في الجسد هلامية الملمس ليست كجبال الأرض صلبة .. بنى البارد كوخا صغيرا وأتانا بملابس بيضاء اللّون وأمرنا أن نلبسها .. إنّه أشبه بزاهد هندّي أو شيء من هذا القبيل .. يصنع طقوسا أشبه بالعبادات الوثنيّة لأقوام تلاشت كالفايكنغ

ويسمّي هذا خدمة الأرواح كنت أفعل هذا عن مضض منتظرا بفارغ الصّبر انتهاء هذه المهزلة ولقاء ذي الأقنعة الجبّار لكن ما لم أعره اهتماما كبيرا أنّني قد رأيت المعتوه ينظر إليه بحدقتين متّسعتين وكأنّه يرى كتلة نور يكاد ضيّها أن يغشي بصره . لم أكن أركّز في أقوالهم عندما يختليان ببعض فقط أمضي باللّيل إلى البارد وأخبره بأنّ صبري بدأ ينفذ لكنّه يطمئنني دائما .. جلست على ضفاف النّهر أحدّث نفسي وأطمئنها فقد كان البارد يأتينا كلّ يوم بطعام كثير وأنا فقط لا أهتمّ إلّا لأكلي ولباسي وبما أنّ عصافير بطني ملجمة والمتقبّلات الحسّية في جلدي لا تشعر بالصّقيع فلا شيء يدفعني لإيقاف المهزلة التّي يقوم بها فيروس الزّكام هذا .. منذ أن كنت شابّا لم أكن أؤسّس علاقات صداقة بدافع الصّداقة بل بدافع المصالح .. بل لم أجد الأصدقاء الحقيقيّين سوى في حيّنا القديم وقد كانوا زملائي في تجارة الكوديين وعندما تصادق تجّار الممنوعات ستكون المصلحة الجماعيّة هدف الجميع فالقبض على زميلك يشكّل خطرا محدقا عليك وسيتسارع الجميع لإنقاذه .. أنا لا أعلم ما هي مصلحة

البارد من هذه الأفعال الغريبة لكن أنا متيقّن أنّه سيجعلني أقابل ذا الأقنعة الأسطوريّ لا بدّ أن ذا الأقنعة هذا سيجعلني أدوّن ملاحظات تصنع ثورة في عالم الطّب .. كنت هكذا أحدّث نفسي حتّى سمعت صوت مجسّات أقدام أحد الخلايا ، اختبئت تحت هضبة صغيرة ثمّ نظرت لقد كان أحد الخلايا التّائية يأتي بمفرده متّجها نحو الخيمة التّي فيها البارد والسّجان .. إنّه يقترب للخيمة .. لقد دخل .. انتظرت خروجه بمنتهى الصّبر وانتظرت سماع صيحات البارد والسّجان أو خروجه برأس السّجان وقابضا على البارد .. مرّت ساعة على دخوله دون خروج أحد ميّتا كان أو حيّا .. ذهبت لأستطلع ما جرى نظرت بنصف عين داخل الخيمة وكانت الصّدمة الكبرى .

لقد رأيت ذاك الحارس ينزع ملابسه ويرتدي اللّباس الذّي يرتديه كلّ منّي ومن البارد والمعتوه .. لم أستوعب ذاك المنظر تمالكت أعصابي وقلت بهدوء

-يا أخي البارد هل لي أن آخذ دقيقتين من وقتك ؟

- طبعا بكلّ سرور

قال البارد وهو يتّجه نحوي .. نفس النّظرة .. بالملّيمترات نفس اتّساع حدقة العين .. نفس الابتسامة كذلك على ثغر الحارس الذّي أتى منذ ساعة نفسها التّي لمحتها لدى المعتوه ذاك اليوم .. كذلك كان المعتوه على تلك الحال قلت للبارد :

- يا بارد لم يعد الأمر يروق لي يجب أن تخبرني ما الذّي تريد فعله ؟
- يا كوديو أنت لن تفهم لقد أمضيت سنينا في هذا العالم أمّا أنت لم تمضي ولو سنة فلن تفهم قصدي لكنّني سأجعلك ترى ذا الأقنعة وتقابله . أقسم لك بشرفي وشرف قبيلتي

طمئنني كلامه وتنهّدت كأنّني قد أخرجت جميع السّموم والشّكوك التّي كانت في جسمي لكنّ البارد أضاف قائلا :

- إنّ الجّلوس منفردا وكثرة التّفكير جعلاك تشكّ كثيرا وتعطي للخوف جزءا كبيرا من وقتك لهذا سأعطيك وظيفة تملأ وقتك .. هنا في جوارنا

يوجد " حيّ الدوبامين " على بوّابة الحيّ لدي أصدقاء هم من يوفّرون لنا الطّعام اذهب هناك غدا وأتنا بما تيسّر من المأكولات .. اذهب فالحيّ جميل هناك والجّميع أصدقائي ويعلمون أنّك بمثابة أخي سيحسنون ملاقاتك.

لم تكن فكرة سيّئة وقد شجّعني اسم الحيّ "حيّ الدوبامين" والدوبامين هو هرمون السّعادة لا بدّ إذن أنّ المناظر هناك خلّابة وأنا بنفسي أريد أن أرى شكل هرمونات الدوبامين .

أيقظني البارد في الصّباح لنؤدّي الطقوس الصّباحية في عبادة أرواحه المزعومة التّي لا وجود لها وقد كان يضع تماثيلا ويخبر أتباعه وهما المعتوه والخليّة التّائية الأخرى أنّ هذا التّمثال هو شكل الرّوح التّي يعبدونها وكانوا فرحين مسرورين بكلامه .. انتظرت انتهاء طقوسه التّافهة ثمّ ذهبت نحو وجهتي الأخرى وعملي الجديد .. ذهبت نحو حيّ الدوبامين .

وصلت إلى مدخل الحيّ قبل البوّابة بأمتار فرأيت أطفالا صغارا يلعبون هناك ببراءة وسرور بعثا فيّ الفرحة والبسمة بعد أيّام من الضياع النّفسي .. لم يكونوا أطفالا مثل الأطفال في عالمنا بل كانوا أشبه بتلك الخلايا التّي قابلتها في هذا العالم ولكنّهم أصغر حجما وضحكاتهم وألعابهم تجزم أنّهم أطفال بريئون .. التفتّ نحو البوّابة وهناك رأيت أجمل مشهد وأحلى منظر رأيته في العالمين اللذّين عشت فيهما ولو كان هناك عالم ثالث أو رابع أو عاشر لما رأيت فيهم جمال الذّي رأيته .. ولا شكّ أنّني متّ لبعض الثّواني ثمّ دبّت فيّ الروح من جديد فقد يكون أحد الحرّاس قد قطع رأسي أو أحد قطّاع الطّرق قد طعنني ولم أشعر .. ولماذا لا يكون الزّمن قد توقّف لبعض الثّواني ثمّ عاد لعمله بعد أن رأى هو الآخر جمال ما رأيت .. كلّ الأحداث الخيالية أو الطبيعيّة قادرة على الحدوث في تلك اللّحظات ... لقد كانت فتاة بشريّة مثلي .. ببشرة بيضاء ناصعة أصفى من اللّبن و بلمعان يضاهي لمعان الزّمرّد أو الألماس أو جميع الأحجار الكريمة في وقت واحد .. وشعر أسود ولو أن اللّون الأسود لا درجات للدّكانة فيه لقلت أنّه

كان أشدّ الألوان السّوداء دكانة .. وثغر كما لو كانت قد دهنته بعسل مصنوع من أرقى وأنقى سلالات النّحل تواجدا في المجرّة .. وعينين كالبدر في تمامه .. باختصار هي فتاة أحلام كلّ شاب وطفل وعجوز وكهل ورضيع .. كانت تقف على البوّابة وأمامها طاولة عليها طعام من جميع الأصناف ويبدو أنّها تهتمّ بتلك الخلايا الصغيرة اللّواتي يلعبن أمام البوّابة وكانت ابتسامتها تملأ المكان بهجة .. وتوقّف قلبي ثانية عندما رأيت يدها تلوّح لي .. نظرت ورائي وأمامي وإلى جميع الزّوايا الموجودة في المكان حتّى أتأكّد أنّها لا تنادي أحدا غيري فقالت بصوت عذب لعنت بعد سماعه جميع المغنّين والعصافير وآلات الموسيقى

-أنا أناديك أنت يا كوديو

ضحكت ضحكة عالية وصرت أبحث في نفسي عن حسناتي وأعمالي الخالصة لوجه الله لعلّ الله قد جعلني من أهل الجنّة وهذه الحوريّة التّي خصّني بها فلم أجد إلّا القليل فأيقظت غيبوبتي قائلة

-لقد أخبرني البارد عنك وأخبرني أنّك تشبهني

لهذا علمت أنّك كوديو .. تعال فخذ ما تحتاج من الطّعام

أشبهها !! كم هي لطيفة هذه الفتاة وروح الدّعابة تملأ نفسها فاقتربت منها ولم أشعر بفمي إلّا وهو يقول

-لقد شبعت بعد رؤيتك

احمرّت خجلا وازدادت جمالا بعد أن ظهرت الغمّازات على خدّيها وقالت

-شكرا لك يا سيّدي

الآن وفي هذه اللّحظة تحديدا اقتنعت بكلام البارد عندما قال للمعتوه لا تنادني سيّدي ثانية ومن أنا حتّى أكون سيّد القمر أو سيّد الشّمس فما بالك بهما مجتمعين

-لا بل أنا خادمك

قلت دون أن أشعر فلم يعد لساني ملكي بل صار ملك قلبي

-حاشا وكلّا مقامك عال .. وبما أنّك أخ البارد فأنت إذا شخص يجب تقديره والاحتفاء به .. مدّ يدك

فخذ ما شئت من الطّعام.

أخذت الطّعام وودّعتها وعدت إلى خيمة البارد فرأيت خليّتين تائيّتين جديدتين في الخيمة لم أعر هذا الشّيء اهتماما بل تركت عقلي في حيّ الدوبامين .. أوف ! لم أسألها عن اسمها .. يالني من أحمق .. لم أعد أستطيع البقاء في مكان واحد لدقيقتين بل صرت أمشي وأجيء كالمجنون لا تفكير لي سوى في تلك الفتاة .. فليذهب ذو الأقنعة والبارد والطّب جميعا للجحيم لا أريد من العالم الأحمر سوى تلك الفتاة

مرّت الأيّام ونحن نجاور حيّ الدوبامين .. تعلّقت بـ "كلاوديا" هكذا أسميتها أنا وكما تعلمون في العالم الأحمر الجميع يعرف حسب مهنته لم أرد أن أناديها المربّية بل أسميتها باسم بطلة فلم تشبهها .. كنّا نجلس على ضفّة النّهر نتبادل الكلام والنّظرات والقبل لا أرى سوى وجهها الذّي لا تشوبه شائبة لم أكن أهتمّ بالبارد ولا بمريديه من الخلايا التّائيّة الذّين قاربوا المائة نفر وكلّما اتجه عقلي نحو التّفكير بهم قاطعتني

كلاوديا

-أنا أيضا لم أولد في هذا المكان ولست خليّة مثل هذه الخلايا

سمعت كلام كلاوديا وفرحت به فرحا عظيما

-إذن أنت بشريّة مثلي
-لا لست بشريّة لكنّني أعرف البشر وعشت معهم لسنين طويلة
-لا يهمّني أيّ من هذا يا حبيبتي .. الشّيء الوحيد الذّي يطغى على تفكيري الآن هو مواصلة حياتنا معا في هذا العالم
-لا تخف يا عزيزي لن يفرّقنا شيء

قبّلتها في إحدى وجنتيها لقد كان فمي يغرق في خدّها الأملس كصبيّ غريق في محيط شاسع وكأنّك ترى صغر حجمه عن طريق كاميرا معلّقة في طائرة درون تطير في الفضاء مبتعدة نحو الأفق

الباب السّادس :

صباح اليوم كان صباحا مختلفا ومخيفا إثر انبثاق أوّل خيط من خيوط الشّمس أيقظني البارد وهو يشير إليّ بيديه لنخرج من الخيمة حيث كان ينام معنا نحو مائة خليّة تائيّة من متّبعيه .. أخرجني البارد وقال :

- هيّا بنا سوف نغادر
- إلى أين ؟
- إلى مكان آخر
- ومريدوك ؟
- لا سيمكثون هنا
- لكن لا أستطيع الذّهاب معك
- لماذا ؟
- كلاوديا !
- ستأتي معنا

كيف عرف البارد أنّني أنادي حبيبتي المربيّة كلاوديا .. يبدو أنّني بدأت الاقتناع بكلامه حول الأرواح وقدراته الخارقة في معرفة الأشياء

- إنّها تنتظرنا في حيّ الدوبامين لقد أرسلت من يخبرها بقدومنا إليها

حسنا مادامت كلاوديا سترافقنا فما المانع من الذّهاب مع البارد حتّى إلى الجّحيم .. عندما كنت في عالمنا البشريّ كنت أؤمن أنّ الحبّ غير دائم وحتّى لو كان دائما فلو مثّلناه برسم بياني لرأينا الانحدار العظيم في قمّة الرسم بمرور السّنين لكن لا بدّ أنّ القوانين قد تغيّرت هنا ويبدو أنّ حبّي لكلاوديا أزلي هذا ما أظنّه .. بينما كان عقلي ينشغل بالتّفكير في حبيبتي رأيت مجموعة من الخلايا التّائيّة لكن هذه المرّة بأزياء الحراسة يبدو أنّهم مبعوثون بأمر من ملك العالم الأحمر فقلت للبارد :

- هل هؤلاء أيضا من عبدة أرواحك ؟
- لا ليسوا كذلك
- إذن ؟
- سترى بعينيك وتسمع بأذنيك

أكمل البارد كلامه وبمجرّد انتهائه من نطق آخر حرف سمعت صراخا وعويلا ورأيت دماء وأشلاء تخرج جميعها من خيمتنا وإثر انقطاع الأصوات خرجت ثلّة

من تلك المجموعة من الحرّاس التّي دخلت الخيمة ورؤوس أتباع البارد على رماحهم .. لمحت رأسا من بينهم لقد كان رأس المعتوه .. وكأنّ عينيّ قد استخدمت تقنية تكبير الصّورة حتّى أراه لقد كانت جميع ملامح وجهه ظاهرة لدّي .. عينان متّسعتان وفم مفتوح لعلّه قد أدرك خيانة البارد له أو لعلّه قد نادى بعلو صوته "مولاي" وقطع رأسه بينما لا يزال صراخه مدويّا في الخيمة .. لقد كان يلعن عتهه وغبائه ربّما في آخر لحظاته .. كم أنت خائن يا فيروس الزّكام

- ماذا فعلت بأتباعك يا بارد ؟
- لا شيء لقد أخذوا ما كانوا يستحقّونه
- هل هذا ما استحقّوه بعدما جعلتهم خدما تحت قدميك ؟

نظر إليّ البارد وقال :

- كم أنت طيّب يا كوديو .. هؤلاء الخلايا كانوا حرسا في العالم الأحمر في جيش المناعة وقد خانوا ملكهم وشعبهم بإتّباعهم لي وأنا الذّي كنت سجينا لديهم وما جزاء الخائن إلّا الموت

قالها وهو ينظر إلى بؤبؤ عينيّ وكأنّه يريد اجتيازهما حتّى يدخل إلى عقلي فيرى أفكاري .. ولكنّني لم أظن أنه بقوله الخائن لم يكن يقصد سوى نفسه .. لكنّ عقلي في تلك اللّحظة أشار إليّ قائلا لا تخف يا كوديو فلو كان يريد خيانة عهده لك لتركك في الخيمة حتّى تموت مع تلك الخلايا المسكينة

بعد عودة الخلايا التّائيّة الموالية للملك انطلقت والبارد نحو حيّ الدوبامين فوجدنا الأميرة كلاوديا هناك لا بل الكونتيسّا كلاوديا كانت ترتدي معطف فرو أسود وقبّعة سوداء وعقد لؤلؤ ثمين لقد كان مشهدا لإحدى زوجات نبيل فرنسيّ في الخمسينات ويبدو أنّني لم أكن ذاك النّبيل وكم احتقرت نفسي بالرّداء الأبيض الذّي ألبسني إيّاه فيروس الزّكام هذا وقد كان هو أيضا يرتدي مثله كنت سأشتمه قائلا ألم يحن الوقت لننزع هذه الملابس الرّديئة لكنّه قال :

-هيّا يا سيّد كوديو الآن سوف تصبح "الكونت كوديو"

وأخرجت كلاوديا من حقيبة يدها معطفا أسودا وسروالا أسودا وقبّعة إيطاليّة جميلة فجعلت الذّكريات تتراكم في ذاكرتي عندما كنت شابّا في الكلّية كنت أرتدي مثل هذه الملابس لم ألبس في تلك الحقبة من عمري سوى أزياء من ماركات عالميّة إيطالية ، فرنسيّة وإسبانيّة ولم أذكر يوما اهتمامي بسعر الملابس .. كنت حقّا أعيش البذخ ومن قواعد البذخ أن تستهلك الكوكايين فهو أرقى وأغلى الممنوعات وأنا طبعا لا أتعاطى إلّا النّقي منها ولكن مع بداية عملي كطبيب خرجت من دائرة البذخ ولكنّ دائرة الإدمان كانت أوسع من أن تتجاوزها قدماي الصّغيرتان وأصبح تمريغ أنفي في الغبار الأبيض شيئا إجباريّا كشرب الماء عند العطش .. تبعثرت ذكرياتي وهربت عند اقتراب هذه الحسناء النّبيلة منّي التّي جعلت تلبسني المعطف بيديها النّاعمتين قائلة :

-واو !! أنت حقّا تبدو في غاية الرّقيّ والجمال بهذا المعطف

-بل ذوقك هو الرّاقي يا حبيبتي

نظر لنا البارد مبتسما وهو يرى الحبّ في عينينا ثمّ قال:

-الآن سوف ننطلق إلى مكان جديد آخر يؤوينا ومن اليوم نحن الثّلاثة واحد أنا " الشّيخ فاليريو" أنت "الكونت كوديو" وهذه الجميلة " الكونتيسّة كلاوديا" سيكون اتّجاهنا الآن هو "مدينة القلب"

أنظر حتّى الطّبقيّة ظاهرة أخرى نتشاركها مع العالم الأحمر .. لست من محبّي ديكارت لكنّني الآن صرت أؤمن بنظريّاته حول الجسد أكثر من أيّ فيلسوف آخر .. واصل البارد قائلا ! أوف ! بل فاليريو :

-سندّعي أنّنا قدمنا من "مدينة الكلية" وأنّنا من أعيان المدينة وكبار الشّخصيّات من هرمونات الأدرينالين وكما ترون بما أنّ العقل قد أدرك الخيانة من حرسه الذّين كانوا معنا في الخيمة فلا بدّ أنّه قد استقبل الخبر بصدمة ممّا يجعل هرمونات الأدرينالين في حيّ الكلى ، وهي هرمونات جبانة ، تتنقّل ذهابا وإيابا في النّاقلات العصبيّة نحو جميع أنسجة العالم الأحمر فهم يخافون من اندلاع حرب أو ثورة .. سندّعي أنّنا منهم وقد تهنا حتّى وصلنا إلى مدينة القلب .. هناك سنستأجر شقّتين ..

شقّة لي وشقّة لكما فأنا من الآن عمّ كلاوديا وأنت يا كوديو زوجها

كنت أسمع كلام البارد وأحلّل حسب معرفتي الطّبيّة وقد توصّلت إلى استنتاج جعلني أتألّم على هذا الجسم الذّي نوجد فيه فهو يعاني من متلازمة القلب المنكسر أو متلازمة تاكوتسوبو في إشارة إلى شكل القلب لدى المرضى بهذه المتلازمة والذّي يشبه شكل أصيص ياباني بهذا الاسم ويصاب أغلب المرضى بهذا المرض جرّاء صدمة هو يختلف عن النّوبة القلبية لكن له نفس الأعراض مثل ضيق التّنفّس وألم الصّدر والارتفاع الكبير لمستوى الأدرينالين في الجسم .

أخيرا ذهبنا إلى مدينة القلب وهي مدينة راقية وسياحيّة مبهرة بجمال طبيعتها الحمراء في النّهار ومدهشة بأضوائها اللّيلية الخافتة الباعثة للرّاحة .. أظنّ أنّها أكثر الأماكن الحاضية باهتمام ملك العالم الأحمر .. كانت حقّا تمثّل لي ولكلاوديا مدينة الحبّ كالبندقيّة أو باريس ولكنّها كانت تمثّل للبارد أو فاليريو باريس في قيادة

الثّورات الشّعبية أو التّنويرية في زمن فلاسفة الأنوار

ذات يوم كنت قد نزلت للتّسوق وأقفلت الباب رأيت الشّيخ فاليريو يجلس في المقهى القديم في مدخل المدينة يدخّن سيجارته ويجلس معه جارنا الجديد "الحارس" هذه مهنته واسمه هو أيضا من الخلايا التّائية تماما كما كان المعتوه

-أيّها الكونت كوديو تعال وآنسنا بجلوسك معنا قليلا

قال الحارس ملوّحا لي بيديه

-أتركه يا حارس فقد سرقت ابنة أخي عقله

قال فاليريو ضاحكا مرتديا لباسه الأوروبيّ العتيق الثّمين .. ذهبت نحوهم وجلست أستمع لمحادثتهم

-لكن يا سيّد فاليريو لا بدّ أنّك تعرف أنّ القسم بالشّرف أمر ضروري بالنّسبة للخلايا التّائية قبل انضمامهم لجيش المناعة فنحن نقسم بشرفنا على ولائنا للملك وحماية عالمنا وشعبنا

- لكن يا حارس أن يقتل الخلايا التّائية أبناء عرقهم من الخلايا التّائية الأخرى كما حدث في الجبال أمر فظيع ومشوّه لسمعة الملك ومواليه من خلايا جيش المناعة
- لا يا سيّد فاليريو من قسم الخلايا التّائيّة أوّلا الولاء لأبناء قشرتنا قبل الملك .. لم ولن يحدث أبدا أن يقتل الخلايا التائية بعضهم
- لا بل قتلوا ولديّ ما يثبت لك ولأبناء قبيلتك .. ولديّ البرهان على كلامي فقد رأيت هذا بأمّ عيني وزوج إبنة أخي كوديو يشهد بصدق كلامي .. يا حارس يا بنيّ كلامي هذا كلام خطير ونحن جيرانكم منذ أشهر فأعدك إن أنت إئتمنت سرّي لأطلعنّك على تلك الواقعة وأريك ما يثبت حتّى تؤمن بقولي
- لا يا شيخي ليس من شيمنا البوح بأسرار جيراننا
- إذن من الآن أنت منّي وأنا منك وسترى بعينيك ما سيجعل فمك مفتوحا فكم من خليّة مسكينة في هذا العالم قد ماتت ولا أذن سمعت ولا عين رأت بأمر الملك

سمعت فاليريو البارد يتحدّث وكان قد غيّر لكنته في النّطق لم أرد الجلوس أكثر فأنا أعرف هدفه .. هو كالعادة يريد استقطاب عدد آخر من الخلايا التائية لكن بطريقة جديدة .. تحجّجت بالذّهاب للسّوق وهناك سمعت جميع الخلايا في مدينة القلب يتحدّثون عن ثورة وعن اندلاع حرب في العالم الأحمر وأنّ الملك لم يعد يمسك البلاد بقبضة من حديد وكان جميعهم يتحدّثون عن قدوم حكيم من بلاد الكلية ويدعى الشّيخ فاليريو .. عدت مندهشا للمنزل وعند دخولي وجدت كلاوديا مشغولة في تنظيف الشّقة وعند رؤيتها إيّاي قالت :

- عزيزي ها قد عدت .. أنا كنت أنتظر وصولك حتّى أخبرك بشيء مهمّ
- وما الأمر يا حبيبتي ؟
- أنت تعرف أنّ مهنتي مربيّة في حيّ الدوبامين ويجب أن أعود من الغد إلى العمل .. سأذهب يوميّا في الصّباح وأعود إلى الشّقة في اللّيل
- حسنا يا جميلتي هذا عملك وأنا لن أصدّك عنه أبدا

كم أنّني رجل عادل في الحكم ولست مستبدّا بكلّ من أملك ذرّة سلطة عليه .. أو ربّما فقط مع كلاوديا فنار الشّوق التّي ستشتعل في قلبي طيلة مدّة عملها صباحا أيسر عليّ من رؤية الحزن على وجهها وهي من تحبّ عملها وصغار الدوبامين يحبّونها

- يا كلاوديا أنت تعرفين سبب تنقّلي مع البارد وذهابي معه
- نعم لقد أخبرتني أنك ترافقه لمقابلة صعلوك يدعى ذا الأقنعة
- نعم وأريد معرفة رأيك
- أنا أيضا أريد أن أراك تحقّق مرادك يا كوديو
- هل ستكونين معي دائما ؟
- في كلّ لحظة يا حبيبي

احتضنتها بحرارة وقابلتني هي الأخرى بنفس الشّيء قبّلتها من جميع أرجاء وجهها الجميل وقلت لها :

- أنت الشيّء الذّي خلقت لأجله
- وأنت الشّيء الذي خلقت لأجله في جميع العوالم

أنساني كلام كلاوديا كلّ الأشياء المحسوسة .. أنا أشبه بسعادة عظيمة منطلقة في الفراغ لا بداية لها ولا نهاية !!

أفقت في الصّباح تحسّست الفراش بيديّ فلم أجد جميلتي فخرجت إلى شقّة فاليريو طرقت بابه عدّة مرّات لكن ما من مجيب وإثر التفاتي نحو الشّارع للبحث عنه في المقهى رأيت جلبة من جميع الخلايا بجميع الألوان تقف أمام المقهى تستمع لرجل وقد كان يقول بصوت خشن وصارخ :

- هذه رؤوس إخوانكم من الخلايا التّائيّة تثبّتوا في ملامح وجوههم الشّهباء التّي لم تأكلها الدّيدان بعد .. وهذه رماح بني جلدتهم من الخلايا التّائية المبعوثة من الملك .. أنظروا أيّها الخلايا قد جاء دور جيرانكم وأصدقائكم وها قد ذهبت أعمارهم سدى بعد سنين من خدمة شعبهم وملكهم وعالمهم لكن متى سيحين دورنا نحن ؟ دوري أنا .. دورك أنت .. دور الحكيم فاليريو الذّي دلّني على المجزرة التّي أرتكبت في حقّ حرّاسنا وممثلي الأمن

في عالمنا .. من أراد إتّباعي فإنّي في شقّتي بجوار الحكيم فاليريو ومن لم يرد فليصمت ويترك النّبلاء من الحرّاس يحمونه من بطش الملك وجيشه الذّي أنزل الموت بإخوانه.

اقتربت قليلا حتّى أرى هذا القائد الذّي يتحدّث .. استطعت لمح وجهه إنّه الحارس جارنا الجديد كان يقف على مائدة في المقهى ويجلس بجانبه على المقعد فيروس بعشرة أعين أخضر اللّون خبيث النّية غزير العلم فصيح اللّسان راقي اللّباس حكيم القول كبير في القدر والمقدار وعظيم الإقناع .. فيروس الزّكام أو البارد أو فاليريو .. وهو الشّيء الوحيد الذّي جعلني أشكّ في نبوغي وذكائي فربّما كان ذكائي كتابيّا لا تطبيقيّا ولكن هذا الفيروس ذكائه يتجسّد على أرض الواقع بحجم أكبر يوما بعد يوم .. قام الحكيم فاليريو وتبعه الحارس وورائهم ثلّة ليست بكبيرة من الخلايا التّائية وفي أعينهم تلك النّظرة التّي أعرفها حقّ المعرفة .. النّظرة التّي أودت بالمعتوه والمائة خليّة منذ أشهر قليلة .

عادت كلاوديا وعادت روحي معها إلى جسدي جلست على كرسيّ في ردهة المنزل يطلّ على نهر دمويّ يحاذي شقّتنا جلست بجانبها وأمسكت يدها الباردة البيضاء فقبّلت يديّ وقالت :

- مالي أراك حزينا يا كوديو ؟
- يا حبيبتي البارد أو فاليريو هذا سيتسبّب في جنوني
- لماذا ؟
- لا أعلم ما هي نيّته باستقطابه للخلايا التّائيّة ثمّ قتلهم نفرا نفرا دون أن يترك أثرا يدلّ على مكره
- يا عزيزي هذا الفيروس قد أمضى سنين طويلة في السّجن والعذاب بين هذه الخلايا وأظنّ أنّ ما يفعله ليس سوى انتقاما من الحرّاس
- أنا حقّا يا كلاوديا لم أعد أطيق صبرا معه إلّا لأنّه سيجعلني أقابل ذا الأقنعة الجبّار
- وأنا معك يا كوديو وإن كان مصيرنا الموت بسبب هذا الفيروس سأكون سعيدة بالموت بين ذراعيك

قبّلت يدي حبيبتي ونسيت جميع مخاوفي حول البارد والسّاخن وفاليريو وجميع المخلوقات في كلّ العوالم

فما دامت بسمتها تلازمني ستدوم رغبتي في الحياة أكثر

كما كان في السّابق صار منزل البارد مأوى للخلايا التّائيّة المعارضة للعقل ومملكته وكانوا يتكاثرون كلّ يوم حتّى أنّ ذكريات السّجن قد عادت إلى مخيّلتي برؤية عددهم الكبير وذكرت أيضا منظر البارد في أوّل لقاء لي به .. فيروس أخضر نحيل ضعيف لا يبشّر وجهه بمستقبل يكون فيه سيّدا على جلّاديه .. طموح كبير جدّا جسّده على واقعه لو كنت مكانه لكان الفخر ينبثق من أصغر أصابع قدمي منطلقا نحو قمّة رأسي .. لو كنت في العالم البشريّ لكان البارد من أشدّ أعدائي فقد كانت روح المنافسة حسّاسة لديّ وكنت كلّما رأيت شخصا أفضل منّي في أيّ مجال من مجالات الحياة صنّفته عدوّا وجب أن أتفوّق عليه وغالبا ما كنت أصل إلى مرادي لكن مع غياب ضميري في هذا العالم وطغيان العاطفة على شخصيّتي بعد ظهور كلاوديا في حياتي صرت أكرّس حياتي لحبّها .. رجل يعيش دون هدف وإن كنت أوهم نفسي أنّني أريد مقابلة ذي الأقنعة فأنا

أعيش فقط لأجل رؤية تلك المخلوقة العاملة في حيّ الدوبامين

ليلة مظلمة ، صمت كبير يسود المكان ، شهيق وزفير منصدر من كلاوديا النّائمة في قميص بدون أكمام وسروال خفيف وقصير وحرارة كبيرة لم تسمح لي بالنّوم .. يبدو أنّ هذا الجّسم يعاني من الحمّى وبينما نحن نشعر بالحرارة لا بدّ أنّه يشعر بالبرد في الخارج .. لم أستغرب هذا الجوّ الحار في الجّسم مع تواجد فيروس البرد فيه .. هذا البارد أطول فيروسات البرد حياة بين جميع الفيروسات التّي قابلتها في مشواري الطّبي .. خرجت من الشّقة نحو الرّدهة حتّى أقاوم القليل من الحرارة وضعت سيجارتي بين شفتيّ ونظرت في نيرانها التّي تأكل رأسها .. ماذا تظنّون لو كان للسّيجارة فم ؟ ... ماذا كانت ستقول ؟ .. أنا أظنّ أنّها كانت ستصرخ بشدّة إثر احتراقها ولكنّ النّار ستلتهم فمها قبل نطقها

بأوّل كلمة نجدة .. كذلك الحياة كخليّة في العالم الأحمر سيصرخ جميع المواطنين بشدّة إثر رؤيتهم لظلم العقل الملك لهم لكنّهم لن يصلوا إلى نطق كلمة حتّى يعبّروا عن أرائهم أو نقدهم لمنظومة الجّسد الفاسدة كما كان أمر الخلايا التّائية التّي اتّبعت البارد في الجبال وآمنوا بمنهجه وكلامه .. عندما دخل حرّاس الملك أبادوهم عن بكرة أبيهم دون سماع كلمة منهم فقط كان الصّراخ سيّد الموقف ورأس المعتوه مفتوح الفم كان أكبر دليل على انقطاع صوته قبل نطقه بكلمة لتفسير رأيه حاله كحال السّيجارة التّي أدخّنها . لكن فلنتلاعب قليلا بالأحداث لو أنّ حرّاس الملك قد أسروا المعتوه وقومه من الخلايا التّائية المتمرّدة وسمعوا أرائهم وتبريرهم لمواقفهم وأحالوا القضيّة إلى قضاء عادل في محكمة المناعة لتوصّل جميع الأطراف إلى استنتاج وحيد لا آخر غيره "فيروس الزكام" المشهور بلقب "البارد" هو قائد المتمرّدين وأميرهم وباثّ البلبلة في صفوف حرّاس العالم الأحمر ولو كان هناك أحد يستحقّ المحاسبة أو الموت فهو ذاك الفيروس وكنت أعرف مثلا يقول :

"اقطع الرّأس لتجفّ العروق " ولكنّ الملك هنا يؤمن بمثل يقول " الأرنب تودي بحياة الخنزير " ولكن منطقيّا لو أودت الأرنب بحياة الخنزير الأوّل فهي ستودي بحياة قطيع كامل من الخنازير ولكن لو نودي بحياة الأرنب بعد تسبّبها في هلاك الخنزير الأوّل سننقذ قطيعا من الخنازير المسكينة أو ربّما واديا كاملا منهم .. لا أمل في تحسين أوضاع الحكم في الحياة وها قد تأكّدت أنّ مياه جميع العوالم تصبّ في نفس المجرى إذن فلنطبّق جميعا هذا المثل بشرا كنّا أو خلايا "كن ذئبا كي لا تنهش لحمك الذّئاب " وإن كنتم تشكّون في تطبيقكم لهذا المثل فأنا أنصحكم بجعله وشما بين أعينكم وكلّما نظر أحدنا لنفسه في المرآة صباحا رآه فوجب عليه فعله .. أكملت سيجارتي وخرجت من الشّقة ، لازالت حبيبتي الجميلة تنام كالحمل على فراشنا .. وما إن خرجت في الظّلام الحالك حتّى رأيت مجموعة من الخلايا التّائية الحارسة لمدينة القلب تدخل بيت فاليريو الحكيم دخلت إثر دخولهم وهناك رحّب بي الشّيخ قائلا :

-صهري ! مالك لا تزال مستيقظا حتّى هذا الوقت من اللّيل ؟

-لقد منعتني الحرارة من النّوم أيها الشّيخ فاليريو

ضحك الشّيخ وعاد للكلام مع أتباعه الجّدد

-أيّها الحرّاس لا كلام لي سوى ما سمعتموه ولا قول لي سوى ما خبرتموه وقد عرفتم أنّني من كبار الشّخصيات بين أهلي ولكلمتي بينهم سمع وطاعة ولكنّني لم أرى منهم القدرة على مقاومة الظّلم والاستبداد في عالمنا فشددت الرّحال وإبنة أخي وزوجها متجّهين نحو خلايا لا تهاب الدّفاع عن إخوانهم ونصرة الحقّ بما استطاعوا من جهد ولي جملة أريد قولها لكم وأريد تردّد صداها في أذانكم ''اقطعوا الرّأس تجفّ العروق''

ههه !! ضحكت في نفسي بصدمة بعد سماعي للبارد أو فاليريو يقول لأتباعه المثل الذّي كنت أفكّر فيه .. اقتنعت في تلك اللّحظة حقّا أنّ هذا الفيروس أذكى من جميع الخلايا التّي توجد هنا وهو الوحيد الذّي كان

يؤمن بقطع الرّأس قبل العروق .. ولكنّه لم يكن يقصد نفسه بقوله الرأس بل كان يقصد ملك العالم الأحمر "العقل"

مرّت الأيّام في مدينة القلب بسرعة وخلالها كان فاليريو وأتباعه من الخلايا التّائية الذّين بلغ عددهم المائتي خليّة يضعون آخر لمسات خطّتهم لاغتيال الملك .. لم يكن يهمّني ما يحدث مادام البارد سيأخذني لذي الأقنعة وأنا أمسك بيدي كلاوديا .. كان ذاك حلمي وأنا أراه يسلك طريقا قويما ولا همّ لديّ سوى تحقيقه فلا أهتمّ لأيّ طريقة قد يطبّقها البارد حتّى نصل إليه .. قلت لكلاوديا :

- عزيزتي لا تنامي اللّيلة
- لماذا يا عزيزي ؟
- سيأتينا البارد في منتصف اللّيل ويأخذنا معه لنغادر المدينة
- هل أخبرك هو بهذا ؟

-لا لم يخبرني لكنّي أشعر بهذا وصدّقي أنّه سيحدث

نظرت إليّ كلاوديا مستغربة ثمّ ارتمت في حضني بنفس القميص الخالي من الأكمام ويداها العاريتان تلامسان صدري وبنفس السّروال القصير وساقاها العاريتان تجلسان على ساقيّ ثمّ قالت ضاحكة :

-ترى ماذا سيسمّينا البارد هذه المرّة ؟ لا يهمّني ما سيطلق علينا لكن المهمّ ألّا يعرّفني هذه المرّة للخلايا على أنّني زوجته

-لا أظنّ هذا إلّا عندما أكون ميّت الأحاسيس وحيّ الجسد

-لكن أحاسيسك يا عزيزي هي سبب وجودي في هذا العالم الذّي لا أنتمي إليه

-لقد خلقنا لأجل بعضنا ولن يفرّقنا بارد ولا ساخن

حضنت جميع جسدها بيديّ وقبّلت رأسها ذا الشّعر الحريري وجلسنا ننتظر أن يقرع بابنا الشّيخ فاليريو .

"طق طق طق" منتصف اللّيل حسب السّاعة البيولوجيّة للجّسم ، لم أنم البارحة ليلا لهذا أخذني النّعاس فنمت .. أذكر قبل نومي أنّ كلاوديا كانت في حضني لكنّني الآن أنام في فراشي وهي ليست معي .. استيقظت مهرولا نحو الباب وباحثا بعينيّ في الشّقة عن كلاوديا .. هاهي جميلتي تذهب نحو العدسة الصّغيرة المعلّقة في الباب حتّى تستطيع رؤية من في الخارج .. كانت تقف على أطراف أصابعها حتّى تصل عيناها للعدسة .. حملتها بيديّ حتّى وضعت عينها في العدسة وقلت :

-من ؟

-رجل يرتدي لثاما يا كوديو لكن يبدو من أعينه العشرة أنّه البارد

فتحت الباب فرأيت البارد يرتدي لثاما يغطّي كامل رأسه ووجهه إلاّ أعينه ويرتدي قميصا طويلا عربيّا لا يظهر سوى مقدّمة ساقيه .. نظر إليّ وقال :

-لا وقت للكلام يا كوديو خذ كلاوديا واتّبعاني

الباب السّابع :

تبعته وكلاوديا دون النّبس ببنت شفة حتّى وصلنا إلى مرتفع تستطيع في قمّته رؤية كامل المدينة وأضوائها وأنهارها ومقاهيها وخاصّة الشّقتين المتجاورتين حيث أقمت مع حبيبتي ويجاورنا فاليريو الماكر .. احترت فيما يفكّر عقل هذا الفيروس الآن بقميصه العربيّ ولثامه .. لحظات وكأنّه كان يقرأ أفكاري فقال :

- لقد علمت أنّ العقل قد سمع بما يخطّط له فاليريو وأتباعه من أمر اغتياله وقد أرسل لهم مجموعة من الخلايا التّائيّة للقضاء عليهم بعد .. ثلاثة ... اثنان ... واحد

إثر انتهائه من العدّ رأينا غبارا عظيما ينطلق من بوّابة المدينة ... نحو ألف خليّة تائيّة تتقدّم نحو شقّتينا في المدينة شقّتي وشقّة فاليريو .. وبمشهد بطوليّ خرج أتباع فاليريو يطلبون الموت دون تردّد ويتقدّمهم جارنا الحارس والذّي كان يقاتل بشراسة وهو يقول

-أين فاليريو ؟

كان يردّد تلك الجّملة بصوت شجيّ وكأنّه ينتظر قدوم الحكيم فاليريو على فرسه ماسكا سيفه مثل حنّبعل الذّي يقول فيه ليفي وهو أحد أعدائه : " لقد كان أوّل من يدخل المعمعة وآخر من يخرج من الميدان " لكنّ فاليريو كان أوّل الهاربين من المعمعة ... فهم الحارس خيانة حكيمه المزعوم ونادى بصوت مسموع حيث ارتعدت فرائص البارد إثر سماع جملته :

-لن تسلم من سيفي يا فاليريو إذا عشت بعض الدّقائق بعد القتال

رأيت أعين البارد وهو يدرك أنّ أتباعه قد علموا بخيانته لقد كان يتمنّى أن يبيدهم جيش الملك عن بكرة أبيهم وأن يقتلعوا رأس جارنا الحارس ويضعوه على رمح قائدهم متباهين به أمام بقيّة الخلايا .. وبالفعل تحقّق مناه وقتل جيش الملك جميع حرّاس مدينة القلب وبعد ثلاث ساعات متواصلة من مشاهدة القتال من أعلى قمّة في المدينة استطاع البارد العودة إلى الكلام وتحرّكت ألسنته ببطء يدلّ على الرّاحة التّي سكنت

قلبه :

- كلاوديا وكوديو من اليوم لا أسماء لنا ولا هويّة .. نحن رحّل من البادية نجوب العالم الأحمر بحثا عن الطّعام والشّراب ولا يعرف لنا أصل ولا فصل .. بخبرتي الضّئيلة في هذا العالم ومعيشتي فيه لبعض السّنين أعلم أنّ الخلايا التّائيّة ستقتل بعضها البعض منذ الآن مثل العصابات فقد انقسموا الآن إلى معارضين ومؤيّدين وبهذا ستقوم ثورة في العالم الأحمر ولا مناص ولا نجاة لخليّة إلاّ الذين لا يمتلكون اسما ولا أصلا ولا قبيلة .. قد اقترب الفجر واقترب رحيلنا معه سنجوب العالم الآن متّجهين نحو العاصمة

- العاصمة ؟

قلت بدهشة بدت على ملامح وجهي لاحظتها كلاوديا التّي كانت أصابعها المرتعدة تشابك أصابعي

- نعم العاصمة .. مدينة العقل الملك يا عزيزي

أجابت جميلتي عن تساؤلاتي وهي ترسم بسمة مصطنعة على وجهها الملائكيّ .

انطلق أوّل خيط من خيوط الشّمس واستطعت رؤية المكان حولي بوضوح أكثر .. صحراء حمراء قاحلة لا بداية لها ولا أظنّ أنّ نهايتها قريبة .. يد حول لثامي ويد تمسك يد حبيبتي التّي تضع هي الأخرى يدها حول لثام أسود زاد عينيها جمالا فوق جمال ولو كانت جميع النّساء مثل كلاوديا لما تراجعن أبدا عن فكرة ارتداء النقاب وإظهار أعينهم فقط .. مشينا كثيرا لكن لحسن الحظّ أنّ البارد قد تزودّ جيّدا للسّفر .. فهو يعرف كم سنمضي من الوقت ونحن نجوب هذه الصّحراء الحمراء .. جعلني الصّمت الذّي يسود المكان أفكّر فيما سيواجهنا بعد ملاقاتنا لذي الأقنعة .. لن يكون عندها البارد المسؤول عنّي .. هل سأصبح خليّة تتعايش في الجسد ؟ .. هل سأخرج كلاوديا من الجسد إلى العالم البشريّ ونتزوّج ؟ .. هل سيهضمني الجهاز الهضميّ وأنتهي في براز هذا الإنسان الذّي أتجوّل في جسمه ؟ .. لم أعد أستطيع أن أفكّر منطقيّا فلا وجود للمنطق هنا إنّ الأحداث التّي أواجهها أقرب للخيال .. حقّا أنا أستغرب تقبّلي لوضعي هنا .. لا عائلة ولا بشر ولا ناس فقط هذا الحبّ العظيم الذّي أكنّه لحبيبتي يجعلني

أنسى وجودي كليّا .. نظرات ثاقبة بخطّ أفقيّ نحو عيني أفاقتني من تفكيري ، كانت كلاوديا تنظر إليّ بحبّ ولمعان في بؤبؤ عينيها .. رفعت لثامها وقالت " أحبّك" ثمّ أعادته لمكانه لا بدّ أنّها لاحظت قلقي فأرادت أن تعيد نسياني لوجودي في وضع الاشتغال ثانية وقد نجحت .. عدنا نتّبع خطوات البارد الذّي توقّف أمام فندق وأشار إلينا بالصّعود للمبيت هناك والشّيء الغريب الذّي لاحظناه في الطّريق هو خلوّه من الخلايا التّائية الحارسة .

أظنّ أن الثورة حقّا قد اشتعلت في المدن الكبيرة من العالم الأحمر ويجب علينا الإسراع في التّقدّم نحو العاصمة حيث لا شكّ في تواجد الحرّاس

الثّورات في العالم عديدة كالثّورة الفرنسيّة أو الثّورة الزّراعيّة البريطانيّة أو ثورة الأمازيغ او الثّورة المهديّة أو الثّورة الإسلاميّة الإيرانيّة أو ثورات الرّبيع العربي .. ثورات كثيرة وأسبابها مختلفة لكن هدفها واحد وهو إسقاط النّظام الحاكم ،لكن هل يكون الشّعب المحكوم

فيه دائما المظلوم وصاحب الحقّ في كلّ الثّورات ؟ .. أنا لا أرى هذا حقّا .. فالشّعوب كذلك لا ترضى بالنّعم وتكفر بها .. لقد كانت الخلايا تعيش في سلام دائم لا وجود لحروب أهليّة بينهم حتّى انقسموا إلى فرقتين .. فرقتين .. فرقة تتّبع البارد وفرقة تتّبع العقل الملك .. حرّر الحرس في السّجن من الخلايا التّائيّة هذا الفيروس الذّي كان سيواجه عقوبة الإعدام واتّبعوه وآمنوا به وانسلخوا عن قومهم .. منطقيّا يجب على الملك محاسبة كلّ المتورّطين في قضيّة تهريب فيروس الزّكام .. هكذا القوانين في العالم الأحمر ما جزاء الخائن إلّا الموت .. وبالفعل قتل جنود الملك الخلايا التّائيّة الخائنة .. فلم تقوم ثورة على الملك ؟ .. لماذا لم يسأل حرّاس مدينة القلب من الخلايا التّائيّة عن سبب إعدام بني جلدتهم من قبل بني جلدتهم أيضا ؟ .. هم فقط قد اختاروا فريق الخونة دون أدنى سبب مقنع .. ولا أرى هنا سببا لقيام ثورة على الحاكم .. الشّعوب هكذا في كلّ العوالم لا ترضى بشيء .. السبّب الوحيد المنطقيّ الذّي يجب أن يحاسب عليه الملك في هذه الحالة هي تركه لمنبع الشّرور حرّا طليقا وهو "البارد"

ومعاقبته للدّمى الخشبيّة وهي الخلايا التّائيّة .. "تشي غيفارا العالم الأحمر " هو البارد لكنّه أقرب إلى "عبد الله بن سبأ" في مكره وفتنته .

أفقت في الصّباح بلباسي الأفغاني وعمامة رأسي التّي جعلتها لثاما لوجهي .. كانت كلاوديا .. أراها أقرب إلى أميرة عربيّة .. كنت تضع سجّادا على الأرض الصّحراويّة الحمراء وتضع طعاما والطّعام هنا يتكوّن من البروتينات والفيتامينات والسّكريّات الخالصة النّقية بعد أن تقع تصفية الطّعام عن طريق الكلى .. لم يكن الطّعام كافيا كما كان في السّابق ويبدو أنّ المجاعة في طريقها إلينا .. يبدو أن ثورة الخلايا والهرمونات في جسم هذا الإنسان الذّي نعيش بداخله قد أثّرت عليه سلبا وجعلت شهيّته للطّعام تنقطع .. مسكين هذا الرّجل أو هذه المرأة إنه يعاني من اكتئاب عظيم أثّر على قلبه وهرموناته وخلايا جسمه .. جلسنا للطّعام أنا والبارد وكلاوديا التّي قالت :

- كوديو ! إن عزمت على السّفر فانتظر عودتي من العمل
- طبعا يا عزيزتي سأنتظرك .. هل تظنّين أنّني سأرحل من دونك ؟
- لا بل أعلم أنّك ستنتظرني .. شكرا كوديو

كلاوديا لا تكلّم "البارد" أبدا .. أعلم أنّها تكنّ له احتراما وهذا ما أخبرتني به في أوّل لقاء بها لكنّها لا تكلّمه أبدا ولا تحيّيه صباحا ولا مساء .. أنا لم ألاحظ هذا الشّيء إلّا في هذه اللّحظة .. فهي تعلم أنّني أتّبع البارد وتعلم أنّه من يحدّد ميقات السّفر لكنّها تستشيرني أنا دون اهتمامها بسفره أو إقامته .. حسنا سأسألها لاحقا عن هذا أمّا عن انتظارها فليس بالأمر العسير فقد صارت تعمل لساعات أقّل مع صغار الدوبامين

اللّيل في هذا المكان رائع والطّقس فيه بارد نوعا ما .. الصّحراء لا نهاية لها فقط تعترضنا الفنادق هنا نسافر يوما ونبيت يوما .. وفي اليوم الذّي نبيت فيه تذهب كلاوديا للعمل وفي اليوم الذّي نسافر فيه لا تذهب

بينما كنّا نمشي في طريقنا الخالي من العقبات كان "البارد" يتقدّمنا في السّير وسنحت لي الفرصة لطرح تساؤلاتي على كلاوديا :

- كلاوديا .. لماذا لم أرك يوما تخاطبين "البارد" ؟
- ولم قد أخاطبه ؟
- لقد لاحظت أنك تتجاهلين وجوده تماما
- كوديو عزيزي .. هذا الصّعلوك لا يعجبني ولا أراه صديقا مناسبا لك وأتمنّى أن تتركه يسافر نحو مقصده ونعود أنا وأنت سويّا لحيّ الدوبامين حيث أواصل أنا عملي وتشتري شقّة ونعيش حياة هنيئة سعيدة يملؤها الحّب
- لكن لم يكن هذا رأيك سابقا
- هذا رأيي الآن .. لكنّني لم أجبرك عليه فقط أريدك أن تحفظ جملتي هذه .. كوديو لا تغضب منّي إن حدث شيء لا يسرّك إعلم أنّه لا يسرّني أنا أيضا وأتمنّى الموت دونه ولكنّنا سنكون مجبرين .. كلانا سنكون مجبرين
- لم أفهمك يا كلاوديا

-أنا أحبّك يا كوديو بصدق

انفجرت الجميلة بالبكاء وساح كحل عينيها على لثامها الأسود فزاده سوادا وزاد عينيها جمالا .. لم أرد المواصلة في استنطاقها رغم ملاحظتي لوجود سرّ خطير بين كلماتها .. لا يهمّني هذا السّر أنا فقط أهتمّ بتواجدها بجانبي .. أمسكت يدها بقوّة وسرت معها مواصلين طريقنا نحو حاضرة العالم الأحمر "مدينة العقل "

جمال رهيب ! مشهد لا يوصف ! مدينة العقل هنا أجمل من جميع عواصم الأرض إنّها أقرب إلى "سمرقند" أو "طشقند" لكن بلون أحمر .. بنايات عظيمة وجميلة على الطّراز الفارسي والمغولي .. عندما كنت في العالم البشرّي كان من أمنياتي زيارة "تاج محل" أو "بخارى" أو "أصفهان" لجمال بناياتهم لكنّهم قد اجتمعوا في مدينة العقل .. عدد كبير من الخلايا والهرمونات من جميع الأحجام والألوان ..

أظنّها المدينة الوحيدة التّي لم تصلها الثّورة بعد .. طبعا ولن تصلها الثّورة هنا وفي كلّ قدم يوجد جنديّ من جنود الملك من الخلايا التّائيّة والبائيّة .. إنّها مدينة الأمن والأمان وخاصّة قصر الملك الكبير يتواجد أمامه نحو مائة جنديّ حارس .. أغرمت بمدينة العقل وأنا لا أزال على بوّابتها .. أنزلت عينيّ نحو كلاوديا حتّى أرى انبهارها لكن وفي منتصف الطّريق الذّي قطعته عينيّ نحو عيني حبيبتي رأيت ما جعلني أفتح فمي من التّساؤلات .. أنا حقّا لم أعد شخصا طبيعيّا بعد تواجدي هنا .. لا أجد تفسيرا لهذه الأحداث الغريبة .. هيّا يا عقلي استوعب هذ اللّقطة !!

الباب الثّامن :

لقد كان جارنا في مدينة القلب .. الجنديّ الحارس .. بطل المعمعة في حرب الخلايا التّائيّة الذّي مات على أيدي جنود المناعة .. إنّه حيّ يرزق وينظر في أعيننا وكأنّه عرف من نكون .. أو كأنّه كان ينتظر قدومنا

في هذه اللّحظة .. هيّا يا كوديا لم يكتب لك الوصول لأهدافك في كلا العالمين .. والموت الآن هو الحاجز الذّي حال بينك وبين أهدافك .. سيقتلنا الثّلاثة .. ولا بدّ أنّه سينكّل بجثثنا الهامدة أمام الملك متباهيا .. كلاوديا ! .. سيقتل حبيبتي الجميلة لكن هذا سيكون طبعا بعد قتلي أنا .. سأحاربه بكلّ طاقة وجدت داخلي .. لحظات تمرّ مثل السّاعات وأنا أنتظر ردّة فعله بعد تعرّفه علينا ... لكن ردّة فعله هي التّي كانت صادمة أكثر من وجوده حيّا أمام بوّابة المدينة ممسكا سلاحه بين يديه

-لقد وصلت يا "صاحب اللّثام" كنت أنتظر دخولك

قال جارنا القديم وهو يحدّث "البارد" بسرور .. تقدّم حارس البوّابة الذّي بجواره ليرى وجوهنا وبطاقاتنا وربّما لتفتيش أمتعتنا لكن جارنا الحارس قد منعه قائلا :

-لا ! لن يحدث هذا أبدا .. هل ستفتّش أصدقائي

أيّها الحارس .. ألا تكنّ بعض الاحترام لي ؟ لا لن يفتّشهم أحد ولو على جثّتي ولن يعترض طريقهم أحد .. أنت تريد أن تقلّل من مقداري ومقدارهم بحركاتك هذه أيّها الحارس .

دخلنا المدينة معزّزين مكرّمين ودخل معنا جارنا في مدينة القلب الذّي قال :

- يا صاحب اللّثام لقد نجحت الخطّة مبدئيّا .. وصرت صاحب مكانة ومقدار عظيم في مدينة العقل بل أنا مقرّب من الملك العقل نفسه
- أحسنت أيّها الحارس لقد عرفت أنّك جنديّ باسل ووفيّ .. لقد قمنا بالتّضحية بإخواننا وبراحتنا لنصل إلى هذه النّقطة فلنكمل ما تبقّى لنا ونقم العدل في هذا العالم

دخلنا البلاد بسلام .. عيون منبهرة بجمال أخّاذ .. مدينة العقل .. عاصمة العالم الأحمر .. الحركة فيها لا تتوقّف هي مدينة لا تنام أبدا .. الحركة التّي قام بها جارنا الحارس عندما منع الحارس الآخر من تفتيشنا

كانت حركة عظيمة .. طبعا فنحن أصحاب سوابق عدليّة وسنكون أوّل المتّهمين في بثّ البلبلة ... اقتربنا من منزل جارنا الحارس بل قصر الحارس قال أنّه هديّة الملك له لإخلاصه له .. أيّ إخلاص ؟ إنّه خائن .. قال " البارد" والذّي أمرنا بمناداته "صاحب اللّثام " منذ دخولنا المدينة ..

-يبدو أنّ مكانتك مرموقة لدى الملك أيّها الحارس

-طبعا يا صاحب اللّثام .. لقد أحسن إليّ وطبعا هذا الإحسان يعود إلى خطّتك العبقريّة .. عندما بلّغت عن الخلايا التّائيّة المتمرّدة في مدينة القلب .. أتذكر عندما قابلنا جنرال الخلايا التّائية الموالية للملك ؟ لقد أحكمنا تلك الخطّة .. شكرني الملك على قتالي الشرّس حتّى لا ينسحب المتمرّدون ويستطيع جيشه إبادتهم .. لكن هناك شيء لم تره يا صاحب اللّثام ولم تسمعه

-وما هو ؟

تساءل البارد أو فاليريو أو صاحب اللّثام وكأنّه ينتظر خروج هذه الجملة من فم الحارس

-لقد طلب منّي الجنرال قتل الحكيم "فاليريو" بعد الانتهاء من المتمرّدين .. أرأيت كم أنّ الملّك وجيشه ينتظرون قضاء مصلحتهم منك ثمّ يهمّون بالقضاء عليك ؟ .. عندها اكتشفت حقّا كميّة الحقارة والأنانيّة التّي في هذا العالم

-لقد كنت شبه متأكّد من هذا

قال البارد وهو يستشيط غضبا .. لأوّل مرّة أرى غضبه .. لقد تحوّل لون الجانب الأيسر من وجهه إلى الأزرق .. لكنّ الغريب في الأمر أنّ ذلك اللّون لم يضمحلّ حتّى بعد عودته إلى وضعه الطّبيعي .

وضعنا جميع أمتعتنا في قصر الحارس .. سحبتني كلاوديا بيدين ترتعش ... لم أكن مطمئنّا من ناحيتها منذ قدومنا إلى العاصمة ..قالت بنبرة حزينة :

-أرجوك يا كوديو فلنفعل أيّ شيء فقط فلنعد إلى حيّ الدوبامين ونعيش هناك .. سأستقيل من عملي وسنكرّس وقتنا لبعضنا البعض .. لكن فلنتجنّب صاحب اللّثام هذا فهو كائن غريب وأنت لم تتعرّف عليه في الجامعة لقد عرفته في السّجن ..

والسّجن مكان الصّعاليك والفيروسات

-يا كلاوديا "البارد" يعتبرني أخا له فأنا سبب خروجه من السّجن ولو كان يريد لنا شرّا لتركنا مع الخلايا التّائية المتمرّدة لنموت على أيدي جيش الملك .. إنّه يهتمّ بمسكننا وملبسنا وطعامنا .. كلاوديا حبيبتي مدينة العقل آخر محطّة في رحلتنا ثمّ سنعيش بسلام في أيّ عالم تردين

-ربّما يا كوديو سنعيش بسلام في مكان آخر يا حبيبي

أحسست بتعكّر نفسيّة كلاوديا بعد رؤيتها لمشاهد القتل والحرب وأحسست خاصّة بتضخّم مخاوفها تجاه البارد .. وضعتُ نقابها على وجهها بيديّ وعدّلت لثامي حول رأسي ووجهي ثمّ أمسكت بيدها وأخذتها معي لنتجوّل في هذا الجوّ البديع في عاصمة الجسم .. كانت الجولة برعاية مزاحي .. لم أرى كلاوديا يوما تضحك وتبتسم مثل اليوم وكذلك لم أرى كلاوديا تبكي يوما مثل اليوم .. وقفنا على شاطئ بحر الدّماغ .. إنّه السّائل الدّماغي الشّوكي الذّي يعتبر واقيا للدّماغ حيث يقدّر وزن الدّماغ بـ 2 كغ لدى البالغين لكنّه يطفو على

السّائل الدّماغي الشّوكي لهذا لا نشعر بوزنه .. مدينة العقل مثل الجّزيرة كانت تطفو على بحر الدّماغ .. بحر الدّماغ الذّي ازداد علوّه بدموع كلاوديا وهي تجلس على شاطئه .. لم أحتمل رؤية دموعها .. كانت تبكي وتمسك يديّ بقوّة وكأنّها شبه متأكّدة من حدوث مصيبة لنا أو لحبّنا .

- ما بك يا كلاوديا ؟ لم أعد أحتمل رؤيتك هكذا .. أخبريني ما الذّي تريدين أن نفعله
- لا شيء يا عزيزي .. فقط أريد رؤيتك في يوم آخر أو علم آخر ثانية .. سأفتقدك كثيرا أنا أعلم هذا
- حسنا يا كلاوديا .. لا مكان لنا هنا بعد الآن ولا مكان لطرف ثالث في حياتنا .. سنعود الآن إلى قصر الحارس ونأخذ أمتعتنا ونمضي قاصدين حيّ الدوبامين

الباب التّاسع : بداية النّهاية

مشينا بعض الخطوات على الشّاطئ تاركين كلّ همومنا وكلّ مل تعلّمناه وعرفناه وعشناه هناك ناظرين إلى معيشة هادئة يملؤها الحبّ .. كلّ هذا الكلام جميل ومنطقيّ في خيالنا البشريّ الشاسع .. أمنياتنا التّي يرسمها خيالنا أشبه بكلمات تكتب في صفحات ورقيّة أو رسم على ورقة بيضاء أو تمثال منحوت لكنّها قلّما تجسّدت كأفعال في أرض الواقع ... هذا ما رأيته بعيني وأحسسته بحواسّي الخمس ... كانت تفصلنا على الحياة الورديّة بضع دقائق أو ساعات أو أيّام وربّما أشهر أو أعوام لكنّها كانت ستحصل .. رأيت صاحب اللّثام يقف أمام القصر الملكيّ ومعه ذاك الحارس الذّي لازال لا يدرك خيانته لشعبه ولنفسه ولوطنه .. إنّه حقّا خليّة عاطفيّة فهو قد مال إلى صفّ فاليريو في مدينة القلب بعد أن رأى جثث قومه من الخلايا التّائية الميتة .. أي أنّه قد حكّم قلبه في اختياره لصفّ فاليريو ولو أنّه حكّم عقله لسأل السّؤال البسيط الذّي يجب أن يطرح في تلك اللّحظة "لماذا ؟"

- لماذا قتلتموهم ؟

صاح جارنا الحارس بغضب في الحرّاس الذّين يقفون أمام قلعة الملك .. هاهاها ! الآن أدرك أنّ هذا السّؤال يجب أن يطرح .. قهقهت في نفسي وأنا أسمع سؤاله الذّي لم يعد له أهميّة الآن .. لم يجبه أحد من الحرس وكأنّهم مأمورون بالصّمت مدى الحياة .. بينما الصّمت يعمّ الأرجاء لمحني صاحب اللّثام مع حبيبتي فتقدّم نحونا تاركا الحارس أمام القلعة وقال :

-أين تذهب يا كوديو آخذا حبيبتك معك ؟

-سنعود للمنزل

-أيّ منزل هذا الذّي تتحدّث عنه ؟ نحن نقيم عند الحارس جارنا في مدينة القلب

-أعلم هذا

-وهل لك إذن لتذهب إلى منزله ؟

-وهل نحتاج إذنا لنأخذ أمتعتنا ونذهب ؟

بعدما طرحت سؤالي هذا بغضب تدخّلت كلاوديا بسرعة وهي تقرص يديّ وقالت :

-ماذا تقول يا كوديو أيّ أمتعة ؟ نحن مازلنا مقيمين هنا

لم أدرك أنّها لا تريد البوح بسرّ فرارنا من العاصمة للبارد أو صاحب اللّثام فقلت :

-ما هذا يا كلاوديا ؟؟ ماذا تقولين

استجمعت أنفاسي وقلت :

- يا صاحب اللّثام أنا وكلاوديا سنغادر هذا المكان وسنذهب نحو مدينة أخرى ... تشرّفنا بمعرفتك ولا حاجة لنا بأيّ شيء هنا .. شكرا على كلّ ما فعلته معنا نحن ممتنّان لك جدّا .. أمّا الآن فالوداع

ضحك الفيروس ضحكة خبيثة وقال :

-هل تريد خيانتي أيّها الطّبيب ؟

كانت أوّل مرّة يناديني فيها بالطّبيب ثمّ قال :

- بعد أن اكتشفت سرّي تريد الهروب ثمّ قتلي ؟ لا أمان لك منذ الآن ولا ذهاب لك لأيّ مكان .

استغربت لهجته العنيفة هذه وكلامه الذّي لم أفهمه

-أنا لم أفهم شيئا من كلامك لكنّني أريد إخبارك أنّني

لن أهتمّ بحياتك أو موتك أو أسرارك منذ الآن ... أنا وكلاوديا سنذهب لنعيش حياة بعيدة عن همجيّتك وليكن في علمك أنّني ذاهب ولن تمنعني أنت أو درويشك الذّي أتيت به من مدينة القلب .

قلت كلامي بغضب انفجرت بعده دموع كلاوديا كالشّلال وقالت منهزمة :

-لقد أهلكتنا يا حبيبي

تردّد صدى جملتها في أذني أكثر من مائة مرّة في تلك الثّواني القليلة التّي سبقت الكارثة .. كنت أشاهد سابقا برنامجا عن الكوارث الطّبيعية يدعى " لحظات قبل الكارثة " لكنّني الآن أعيشها .. تلك اللّحظات الصّامتة التّي نتمنّى لو تواصلت للأبد دون أن يحدث ما يليها .. لن تصدّقوني لو أخبرتكم أنّني في تلك الثّواني قد استطعت سماع دقّات قلبي .. وصوت سريان الدّم في عروقي .. لكنّ الكارثة قد بدأت في الاندلاع .. استشاط الفيروس غضبا وبدأ بالتحوّل مثل المستذئبين عند اكتمال القمر في بدره .. بدأ لونه الأخضر في التّحول

إلى الأزرق .. أعينه العشر صاروا أشبه بالبثور التّي تظهر على الجبين .. ألسنته كالحبال الممشوقة في ساحة لإعدام ثلّة من المجرمين .. تضاعف حجمه ثلاث أو أربع أو خمس أو عشر مرّات عن السّابق أمّا أكثر الأجزاء رعبا كان انقسام وجهه إلى ثلاث وجوه ووجه يجمعهم .. أمّا الثلاثة وجوه فقد كانوا على التّوالي : وجهه كزاهد وهو يضع الكحل في عينيه .. وجهه كنبيل في العصور الوسطى ويدعى "فاليريو" .. ووجهه بلثام لا ترى منه سوى أعينه أمّا الوجه الذّي كان يجمعهم فهو وجهه القبيح الفيروسي وجه "البارد" ... رأيت هذا المشهد بصدمة عظيمة تضاهي جميع صدمات العالم في آن واحد .. وبينما أنظر إليه وبسرعة فائقة تخرج عن نطاق الزّمن تذكّرت قوله ونحن سجينان في حبس المناعة .. عندما كنّا نتحدّث عن ذي الأقنعة الجبّار .. قال البارد " لقد قال شيخ القبيلة أنّه ضخم الجثّة .. أزرق اللّون .. حسن الكلام وذو حكمة كبيرة .. هذا فقط ما أخبرنا به عنه " .... يا ويلي ! ويا لغبائي وقلّة حكمتي ..

"البارد" فيروس الزّكام الضّعيف هو نفسه **"ذو الأقنعة الجبّار"** .

الباب العاشر : النّهاية

تحوّل البارد إلى ذي الأقنعة .. لم أقل كلمة واحدة وأنا أرى حقيقته التّي عذّبتني .. لكنّني ذهلت عندما رأيت جميع الحرّاس الذّين يقفون أمام قلعة الملك يرمونه بالسّهام والرّماح ويسلخون جلده بسيوفهم .. لكنّه كان أضخم وأقوى من أن يتضرّر بأسلحتهم .. كان يرميهم بشعاع يخرج من كفّ يديه وكأنّك تشاهد فلما سحريّا .. ومن يصيبه الشّعاع من الخلايا التّائية يتحوّل إلى خليّة أشبه بال"زومبي" .. زومبي وبأعين تنظر بنظرة مثل تلك التّي رأيتها في أعين المعتوه .. نظرة تجعل الجنود ينقلبون على قومهم .. شعاع ذي الأقنعة يجعل الخلايا التّائية المصابة به تحارب الخلايا التّائية الأخرى

الموالية للملك ... كان المشهد عنيفا ومليئا بالموتى كانت الخلايا الحارسة تحارب بعضها البعض كالمجانين .. ويحرّكهم ذو الأقنعة كما يحلو له تناثرت الأشلاء وأغرقت الدمّاء بوّابة القلعة .. مشهد بثّ الرّعب في قلبي وقلب كلاوديا ... كلاوديا ؟؟ .. أين كلاوديا ؟؟ .. لقد كانت أصابعها تشابك أصابعي .. أين ذهبت ؟ .. وأنا في حالة الهلع والفزع اللذّان ينتابانني في هذه اللّحظات .. سمعت صوتا مألوفا .. إنّه صوت جارنا الحارس في مدينة القلب يقول :

- يا ذا الأقنعة .. لقد طمحت دائما لأكون أنا قاتلك بسيفي أو حاملك للملك كعبد ذليل ... منذ رأيت أعينك العشر في مدينة القلب عرفت أنّك ذو الأقنعة .. كان أبي يعرف هذه السّمة فيك وقد أخبرني بها .. ولطالما تمنّى قبل موته أن يكون موتك وانتهاء جبروتك على يد أحد أبنائه .. وها أنا أريد تحقيق أمنيته .

إذن أنا من كان الغبيّ في كلّ هذه الأحداث .. الجميع

كان يعلم أنّ البارد هو ذو الأقنعة من البداية .. إلّا أنا .. حتّى كلاوديا وخوفها الزّائد الذّي كنت ألاحظه عند كلامها على البارد .. لا شكّ في أنّها كانت تعرف حقيقته .. أين هي ؟؟ .. نظرت نحو جارنا الحارس فرأيته يمسك بكلاوديا ويضع السّيف على رقبتها البيضاء مهدّدا ذا الأقنعة وهو يقول :

-إلزم مكانك يا ذا الأقنعة ولا تحرّك ساكنا وإلاّ قتلت إبنة أخيك هذه

لكنّ الحارس لم يكن يعلم أن كلاوديا ليست ولم تكن أبدا ابنة أخ ذي الأقنعة فكان يستخدمها كوسيلة للضّغط عليه حتّى يستسلم ... ولم يكن يعلم أنّه يضغط بهذا الفعل على إنسان واحد فقط .. ألا وهو أنا

كلاوديا .. جميلة الجّميلات وحبّ عمري .. قد تموت في أيّ لحظة من اللّحظات .. لم أتمالك نفسي .. أخرجت خنجرا من خصري كنت قد أخذته من منزل المعتوه ... تقدّمت ببطء شديد بينما كان تركيز الحارس الكليّ على ذي الأقنعة الذّي توقّف هو الآخر

ولم يحرّك ساكنا .. وفي جزء من الثّانية قفزت غارسا خنجري في صدر الحارس .. نظرت في عينيه بينما كان يموت ... نظرة حسرة على أمنيته التّي مات قبل تحقيقها والذّي كان أقرب قاب قوسين أو أدنى من جعلها حقيقة .. قتلته ونظرة الحزن في عينيه .. قتلته ولم أكن أعلم أنّني قتلت آخر خليّة تحميني ..تركته جثّة هامدة وذهبت نحو حبيبتي وعانقتها عناقا حميما امتزج بدموعي ودموعها .. ودمائي ... العناق القاتل هو عنوان عناقنا الأخير .. لقد كنت أستطيع الإحساس بالفجوة التّي تركها السّيف في ظهري وهو يدخل من بطني .. ولكنّ الصدمة الأكبر هي من يكون قاتلي .. بل قاتلتي .. لقد كانت هي .. لقد كانت حبيبتي التّي عشت معها أجمل أيّام حياتي في العالم الأحمر تغرس السّيف في بطني باكية .. كانت تبكي بكلّ طاقة أوتيت بها .. لم تستطع رؤيتي على تلك الحال .. لم تستطع تحمّل فعلتها ... أعلم أنّ كلاوديا كانت تحبّني بصدق ... وكان ذلك المشهد آخر مشهد رأيته في العالم الأحمر ... رشقت كلاوديا خنجرا في فمها حتّى خرجت مقدّمته المسنونة من أعلى رأسها مخترقة عظام جمجمتها ...

هذا المشهد هو الضّربة التّي قصمت ظهر البعير .. أغمضت بعده عينيّ راجيا اضمحلالي من هذا المكان .. كوديو أنت تواجه الموت ثانية .. لكن كيف سيكون موتك هذه المرّة ؟ .. هل سيكون هناك عالم أزرق أو أخضر أو ربّما أسود ؟ .. أنا لا أعلم .. أغمضت عيناي وكنت مثل نقطة في الفراغ الشّاسع .. لكن حاسّة سمعي قد أفاقت الآن وبدأت حواسّي الأخرى تتلوها في الاشتغال .. حتّى سمعت صوتا حنونا ومألوفا جدّا ... صوتا دافئا .. صوت الاطمئنان والحبّ .. **إنّه صوت أمّي** .

الباب الحادي عشر :

-الحمد لله ! وأخيرا أفقت يا بنيّ ... الحمد والشّكر لك يا إلهي

دموع وآهات وتهليل وتكبير وشكر لله قد ملئوا المكان

أمّي وابنة خالتي وخطيبتي .. كان الثّلاثة يقفن أمامي وملامح الفرح تملأ وجوههم

-نادر يا حبيبي

نعم هذا هو اسمي "نادر" وأنا "كوديو" أيضا ... نادتني ابنة خالتي باسمي وهي تبكي قائلة :

-لقد انتظرنا استيقاظك من غيبوبتك تسع أشهر .. وأخيرا والحمد لله قد أفقت

لقد تعوّد عقلي وقلبي على تلقّي الصّدمات .. والآن صدمة أخرى قد أصابتني .. ماذا تقصد "مروى" عند قولها غيبوبتك .. هل هذا يعني أنّني كنت في غيبوبة منذ تسع أشهر .. وماذا عن "كلاوديا" ؟ و "ذي الأقنعة " ؟ والخلايا التّائية والعالم الأحمر ؟ .. كلّ هذا كان مجرّد حلم ؟ كلّ هذا كان من محض خيالي ؟

آه يا قلبي كم من مرّة ستتلقّى الصّدمات .

امتلأت الغرفة في المستشفى بالزّغاريد .. وجوه الجميع تتهلّل فرحا وخاصّة "روند" خطيبتي .. أعلم أنّها تحبّني

وإن كنت أشكّ في ذلك أحيانا .. ولكنّني لا أبادلها نفس الشّعور .. نعم هي فتاة يافعة شقراء وجميلة وأضف إلى ذلك أنّها تعمل مهندسة في إحدى أكبر شركات البترول في العالم العربيّ .. لكنّني أحبّ الشّخصيّة الوهميّة التّي كانت تعيش معي في العالم الأحمر "كلاوديا" وسأنتظر قدومها إلى العالم البشريّ دائما

-يا "نادر" يا بنيّ .. ألم أخبرك دائما أن تترك هذا السّم الذّي تتعاطاه ؟ ألم أحذّرك سابقا ؟ لماذا تفعل هذا بي يا بنيّ ؟

قالت أمّي والدّموع تملأ عينيها

-ما هذا يا خالتي ؟ هل تظنّين أنّه الوقت المناسب للعتاب ؟ اليوم يوم عيد يا خالتي

قالت ابنة خالتي والفرحة تسود وجهها ... لكنّ كلام أمّي قد أفاق ضميري .. الذّي عاد لمعاتبتي .. الآن تأكّدت

أنّني عدت للعالم البشريّ والحياة البشريّة .. فقد أفاق ضميري بعد سبات طويل .

خرج الجميع ولم تبق سوى "روند" التّي كانت صامتة لساعات لا أرى سوى بسمتها ... جلست على الفراش بجانب رأسي وأمسكت بيدي وقالت :

- الحمد لله الذّي تقبّل دعائي وأعادك إلينا سالما يا "نادر"
- شكرا لك يا "روند" .. حقّا أنا الآن لست في حالة تسمح لي بالكلام أبدا
- أعلم يا عزيزي أردت فقط إعلامك أنّني انتظرتك طوال تلك الشّهور بكلّ شوق ولم يفارق الدّعاء لساني أمّا الآن سوف أتركك حتّى تستعيد طاقتك

بقيت وحدي في غرفة المستشفى وأجهشت بالبكاء ... كلّ ما عشته كان خيالا .. لا فكرة لديك حول إحساسي في تلك اللّحظة .. وكأنّك عشت طوال حياتك كإنسان

حتّى تكتشف في يوم من الأيّام أنّ كلّ هذا كان حلما وأنّك في الواقع مجرّد حلزون أو شجرة أو صخرة على الرّصيف .. بعد سويعات قليلة انهالت عليّ الزيّارات من جميع الأقارب والأصدقاء .. لم أستطع الرّاحة في ذاك اليوم ولم أسمح لأمّي أن تصطحبني معها للمنزل بل فضّلت البقاء في المستشفى .

مرّت الأيّام وتقبّلت الواقع وبدأت أتأقلم مع الحياة ... لكنّ الأمر المريب الذّي كنت أراه في الغرفة التّي كنت أقيم بها في المستشفى أنّ الممرّضين والأطبّاء كانوا شديدي الاهتمام بتعقيم الغرفة وكانوا يتعاملون معي بالقفّازات والكمامة حتّى أطباق طعامي كانت بلاستيكيّة قابلة للرّمي في النّفايات .. هذا الأمر جعل الشّك يدخل قلبي .. وتوقّعت إصابتي بفيروس معدي .. وهذا ما أكّده لي الدّكتور "حسام" عندما ناداني ذاك اليوم وقال :

- مرحبا بك يا دكتور "نادر" هل أنت بخير اليوم ؟
- الحمد لله
- لن أضيع وقتك بالمقدّمات الطويلة يا دكتور ..

أظنّ أنّك قد لاحظت بما أنّك صاحب خبرة وحسّ طبّي كيف يتعامل معك الطّاقم الطبّي والشّبه طبّي

-نعم يا دكتور لقد لاحظت هذا وكان لديّ الفضول لأسألك عن الفيروس الذّي قد أصابني

-أريدك أن تتماسك يا دكتور "نادر" .. يا دكتور لقد أصابك فيروس " نقص المناعة المكتسب" .. أنت مصاب بفيروس "الإيدز"

بعد سماعي لكلماته .. صعقت بالخبر وتمنّيت أن تبتلعني الأرض .. أنا مصاب بالـ"إيدز" .. أنا مصاب بالـ"سيدا" .. هذا يعني أنّ الغبار المتواجد بالمنزل قادر على قتلي .. تمالكت نفسي وقلت :

-وفي أيّ مرحلة منه ؟

-للأسف يا دكتور .. أنت في مرحلة خطيرة جدّا

قال الطّبيب بصوت يائس .

عدت إلى غرفتي والتجأت إلى تفكيري وإلى تأمّلاتي والتّي كانت دائما مهربي من هذه الحياة الظّالمة .. أنا لم أصل يوما لتحقيق حلم من أحلامي وها هو الموت قادم

إليّ ليؤكدّ هو الآخر فشلي .. حتّى في العالم الأحمر لم أستطع تدوين شيء عن ذي الأقنعة .. ذو الأقنعة .. البارد .. أرجوك يا عقلي أخبرني أنّ ما أفكّر فيه ليس سوى ترّهات .. أخبرني أنّ الذّي أجزم حدوثه ليس سوى تخيّلات .. لا بالفعل هي حقيقة .. هذا ما حدث حقّا .. "كوديو" أنت من قتلت نفسك بيديك .. أنت من سلّمت نفسك للمرض ... **"كوديو" لقد كنت داخل جسدك**

قهقهت ضاحكا وأنا في الغرفة أتقبّل حقيقة ما حدث لي .. لقد كنت داخل جسدي .. " ذو الأقنعة " لم يكن سوى فيروس "الإيدز" اللّعين .. نعم ففترة حضانة فيروس نقص المناعة المكتسب قد تدوم لمدّة تسع سنوات .. وتبدأ أعراضه في البداية كأعراض البرد أو الزّكام ... عندما يتغلغل فيروس نقص المناعة في الجسم يهاجم الخلايا المساعدة أو التّائيّة للمناعة بطريقة يجعل فيها الخلايا السّليمة تقتل الخلايا

المصابة .. يكون عدد الخلايا التّائية في جسم الإنسان السّليم من 500 إلى 1800/ملّم مكعّب .. أمّا لدى المريض بالإيدز فينخفض عددهم إلى 200/ملّم مكعّب ... كلّ هذا شيء هيّن على نفسيّتي .. لكن حسرتي الكبيرة هي كوني أنا من تركت "البارد" أو " ذا الأقنعة أو " الإيدز" يقتل الخلايا المناعيّة في جسمي بكلّ سهولة .. كيف لم أحرّك ساكنا .. كيف لم أقف في وجهه ... كنت سأقف في طريقه بالمرصاد لولا ظهور "كلاوديا" في طريقي .. لكن من تكون "كلاوديا" .. يا إلهي أشعر وكأنّني في فيلم رعب من إخراج "ستيفن سبيلبيرج" .. من تكون تلك الفتاة الجّميلة التّي أضاعت تفكيري وجعلتني شخصا لا هويّة له .. من تكون هذه المرأة القويّة التّي أوقفت ذكائي بل نبوغي .. الغريب أنّها ليست من الخلايا ولا من الفيروسات .. الغريب أنّها لا تنتمي إلى عالم الجسد .. من تكون تلك العاملة في حيّ الدوبامين .. نعم الدّوبامين هو كلمة السّر ... لا يا عقلي لا تزد في قهري أكثر فأكثر .. "كلاوديا" حبيبتي البيضاء لم تكن سوى مخدّر "الكوكايين" الذّي أتعاطاه ... حلّي لهذا اللّغز الذّي كنت أعيشه كان بمثابة طعنات أتلقّاها

الواحدة تلو الأخرى .. لقد زادت في همّي وحزني .. إذن لقد كان جسمي .. لقد كان جسمي الذّي يعاني من الحمّى والاكتئاب ومتلازمة تاكوتسوبو ... لقد كنت أنا الرّجل منقطع الشّهية وصاحب المستوى العالي من الأدرينالين في الجسم ... أجهشت بالبكاء لساعات ... ساعات صدمة ... كيف ستتقبّل أمّي إصابتي بهذا الفيروس .. بل كيف ستتقبّل موتي بعد أيّام أو حتّى أشهر ... أنا سأحلّ هذا الأمر إن شاء اللّه .

الباب الثّاني عشر :

عدت للمنزل فجرا ... كانت أمّي لا تزال نائمة ... ودون أن أخبر أحدا بما أخبرني به الطّبيب ... دخلت غرفتي وتركت مبلغا كبيرا من النّقود على الطّاولة وكتبت ورقة لأمّي تقول " أمّي العزيزة .. أنا عازم على السّفر .. هذه

النّقود لك وأرجو أن تسجّلي في الحجّ لهذا العام وأن تتذرّعي وتتذلّلي بالدّعاء لي في الحرم يا أمّاه .

خرجت من منزلنا وذهبت إلى منزل " روند" وكتبت في ورقة بيضاء " أيّتها الشّقراء الجميلة أنا "نادر" .. أردت أن أعلمك أنّني عازم على السّفر لمدّة طويلة .. أتمنّى ألّا تنتظري رجوعي .. شكرا على كلّ ما قدّمته لي "

وضعت الورقة في صندوق البريد وذهبت نحو المكان الذّي كان دائما يحويني بكلّ مساوئي وهمومي وبشاعتي وجمالي .. ذهبت إلى المنزل المهجور بحيّنا .. أوّل مكان علّمني المخدّرات .. ها أنا أعود إليه بهمومي وأحزاني ثانية .. دخلت من بابه الخشبيّ العتيق وتجاوزت جدرانه الملقيّة على الأرض .. هناك وجدت كرسيّا وطاولة وضعها أبناء الحيّ فالجميع يستهلك هناك .. أخرجت كيس "الكوكايين" من جيبي .. سكبت المخدّر الأبيض النّقيّ على الطاولة وقسّمت الفوضى التّي كان فيها إلى أسطر مستقيمة ... ووضعت أنفي في أول سطر

وأمرته بالشّم ... سطر .. اثنان .. ثلاثة .. أربعة ... خمسة ... أربعة عشر سطرا ... الآن أصابتني القشعريرة .. وضاق صدري .. وانسدّت رئتاي .. هذه المرّة ليست كالمرّتين السّابقتين .. كوديو أنت تواجه الموت الآن حقّا ولكنّك ترحّب به ... رأيتها ثانية بوجهها الأبيض واقفة تمدّ يديها إليّ وتقول :

-ألم أقل لك يا حبيبي أنّنا سنتقابل في عالم آخر لا يحوي غيرنا

سمعت جملتها بكلّ فرح وسرور لكنّي لم أمدّ يدي إليها .. لقد منعني .. منعني ضميري ثانية مردّدا تلك الجملة التّي سمعتها منه عديد المرّات :

-كوديو ! إحذر المخدّرات ...

تسجّل الأمم المتّحدة سنويّا نحو 200 ألف وفاة جرّاء جرعة زائدة من المخدّرات حول العالم .

تنويه :

هذه الرواية هي عمل فنتازي خيالي، وتحتوي على معلومات طبية قد يتم استخدامها في سياق غير طبّي يهدف إلى خدمة الحبكة السّردية وتطوير سيناريو القصة. تجدر الإشارة إلى أن هذه الرواية ليست كتاباً طبّياً ولا يجب اعتبارها مرجعاً علمياً.

جميع الأحداث والشّخصيات هي من خيال المؤلّف ولا تعكس بالضّرورة الواقع الطبّي أو العلمي".

قريبا ... SOON

شعر كستنائيّ فاتح ... عيون بنية ... بشرة بيضاء ناصعة .. وسترة فرنسية سوداء في طقس شتوي قارص ... أنا الآن مؤمنة بتناسخ الأرواح .. لكنني لم أكن روحا قط .. ربما في حلم أحدهم .. أنا الآن أشبه باللحظة التي تدرك فيها أنك إنسان .. متى أدركت أنك إنسان ؟ في سن الرابعة ؟ ربما في الخامسة .. أنا أدركها في هذه اللحظة .. كل البشر يولدون بحب فطري لأمهاتهم و أبائهم .. لكن الحب الفطري الذي وجدت نفسي متيمة به هو حبي لرجل لا أعرف عائلته ولا مهنته و لا حتى إسمه ولكني أعرف ملامحه جيدا بل أنا أحفظها كما تحفظون معشر البشر أسراركم

أنا أذكرك أيها الوسيم .. أنت سبب وجودي في هذا العالم وأنت الذي أرسلتني إلى هذا العالم بطلب منك

أنا هي حبيبتك .. أنا "كلاوديا"

إيهاب زيدون

وضعت سيجارتي بين شفتيّ ونظرت في نيرانها التي تأكل رأسها .. ماذا تظنون لو كان للسيجارة فم؟ ... ماذا كانت ستقول ؟ .. أنا أظن أنها كانت ستصرخ بشدة إثر إحتراقها ولكن النار ستلتهم فمها قبل نطقها بأول كلمة نجدة .. كذلك الحياة كخلية في العالم الأحمر سيصرخ جميع المواطنين بشدة إثر رؤيتهم لظلم العقل الملك لهم لكنهم لن يصلوا إلى نطق كلمة حتى يعبروا عن أرائهم أو نقدهم لمنظومة الجسد الفاسدة

كوديو

ISBN 978-9938-79-597-4

iheb.zaydoun